الجزء العاشر
الحسين بن الضحاك
ابن ياسرٍ البصري المعروف بالخليع أبو علي، أصله من خراسان، وهو مولىً لولد سلمان بن ربيعة الباهلي الصحابي، فهو مولىً لا باهلي النسب كما زعم ابن الجراح، بصري المولد والمنشأ، وهو شاعر ماجن، ولذلك لقب بالخليع، وعداده في الطبقة الأولى من شعراء الدولة العباسية المجيدين، ولد سنة اثنتين وستين ومائةٍ، وتوفي في بغداد سنة خمسين ومائتين، وقد ناهز المائة، وكان شاعراً مطبوعاً حسن التصرف في الشعر، وكان أبو نواسٍ يغير على معانيه في الخمر، فإذا قال شيئاً فيها نسبه الناس إلى أبو نواس، وله غزل كثير أجاد فيه، وهو أحد الشعراء المطبوعين الذين أغناهم عفو فرائحهم عن التكلف، وقد اتصل الحسين بن الضحاك بالخلفاء من بني العباس ونادمهم، وأول من جالس منهم: محمد الأمين بن هارون الرشيد، وكان اتصاله به سنة ثمانٍ وتسعين ومائةٍ، وهي السنة التي قتل فيها الأمين، وتنقل بعده في مجالس الخلفاء ونادمهم إلى الحين الذي مات فيه في زمن المستغين، وقيل في زمن المنتصر.
حدث الصولي عن عبد الله بن محمدٍ الفارسي عن ثمامة بن أشرس قال: لما قدم المأمون من خراسان وصار إلى بغداد، وأمر بأن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه، فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الضحاك، فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم الحسين فقال: أليس هو الذي يقول في الأمين يعني أخاه:

هلا بقيت لسد أبداً وكان لغيرك
فـاقـتـنـا التـلـف
فلقد خلفت خلائفاً ولسوف يعوز بعدك
سلـفـوا الخلف

لا حاجة لي فيه، والله لا يراني أبداً إلا في الطريق، ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به. قال: وانحدر إلى البصرة فاقام بها طول أيام المأمون،

واستقدمه المعتصم من البصرة حين ولي الخلافة بعد موت المأمون، فلما دخل عليه استأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده يمدحه:

هلا سألت تلدد الـمـشـتـاق ومننت قبل فراقـه بـتـلاق
إن الرقيب ليستريب تنفس الص صعدا إليك وظاهر الإقـلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقـلةٍ عبري عليك سخـينة الآمـاق
نفسي الفداء لخائفٍ مترقفـبٍ جعل الوداع إشارة بـعـنـاق
إذ لا جواب لمفحمٍ مـتـحـيرٍ إلا الدموع تصان بالإطـراق

ومنها:

خير الوفود مـبـشـر بـخـلافةٍ خصت ببهجتها أبـا إسـحـاق
وافته في الشهر الحـرام سـلـيمةً من كل مشكـلةٍ وكـل شـقـاق
أعطته صفقتها الضمـائر طـاعةً قبل الأكف بـأوكـد الـمـيثـاق
سكن الأنـام إلـى إمـامٍ سـلامةٍ عف الضمير مـهـذب الأخـلاق
فحمي رعـيتـه ودافـع دونـهـا وأجار مملقـهـا مـن الإمـلاق
قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى متعسفين تـعـسـف الـمـراق
إني أحـذركـم بـوادر ضـيغـمٍ درب بخطـم مـوائل الأعـنـاق
متأهـبٍ لا يسـتـفـز جـنـانـه زجل الرعـود ولامـع الإبـراق
لم يبق من متعـزمـين تـوثـبـوا بالشام غـير جـمـاجـمٍ أفـلاق

من بين منجدلٍ تـمـج عـلـق الأخـادع أو أسـير عـروقـه وثـاق
وثنى الخيول إلى معاقل تخـتـال بـين أجـرةٍ قـيصـرٍ ودفــاق
يحملن كل مشـمـرٍ ليثٍ هـزبـرٍ أهـرت مـتـغـشـمٍ الأشـداق
حتى إذا أمّ الحـصـون والمـوت بـين تـرائبٍ مـنـازلاً وتـراق
هرت بطارقها هـرير بدهت بـزأر قـسـاورٍ ثـعـالـب طـراق
ثم استكانت للحصار ذلاً ونيط حلـوقـهـم مـلـوكـهـم بـخـنـاق
هربت وأسلمت الـبـلاد لم تبق غير حـشـاشة عـشـيةً الأرمـاق

فلما أتمها قال له المعتصم، ادن مني، فدنا منه فملأفمه جوهراً من جوهرٍ كان بين يديه، ثم أمره بأن يخرجه من فيه،فأخرجه فأمر بأن ينظم ويدفع إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلما موقعه منه ويعرفوا له فضله. وحدث الصولي عن عون بن محمدٍ الكندي قال: لما ولي المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحاك فهنأه بالخلافة وأنشده:

تجددت الدنيا بملـك فأهلاً وسهلاً بالزمان مـحـمـدٍ المـجـدد
هي الدولة الغراء راحت مشمرةً بالرشد في وبكرت كل مشـهـدٍ
لعمري لقد شدت عرى أعز بها الرحمن كـل الدين بيعة مـوحـد
هنتك أمير المؤمـنـين جمعت بها أهواء أمة خـلافة أحـمـد

فأظهر إكرامه والسرور به وقال له: إن في بقائك بهاءً للملك، وقد ضعفت عن الحركة، فكاتبني بحاجتك ولا تحمل على نفسك بكثرة الحركة، ووصله بثلاثة آلاف دينارٍ ليقضي بها ديناً بلغه أنه عليه، وقال في المنتصر أيضاً وهو آخر شعرٍ قاله:

ألا ليت شعري أبـدر نهاراً أم الملك

بـدا المنتصر??
إمام تـضـمـن أثـوابـه على سرجه قمراً من بشر
حمى الله دولة سلطـانـه بجند القضاء وجند القـدر
فلا زال ما بـقـيت مـدة يروح بها الدهر أو يبتكر

واصطبح عند عبد الله بن العباس بن الفضل وخادم له قائم بين يديه يسقيه، فقال عبد الله: يا أبا عليٍ قد استحسنت سقي هذا الخادم، فإن حضرك شيء في هذا فقل، فقال:

أحيت صبوحي فكاهة اللاهي وطاب يومي بقرب أشباهي
فآثر اللهو في مـكـامـنـه من قبل يومٍ منغصٍ ناهـي
بابنةٍ كرمٍ من كف منتـطـقٍ مؤتزرٍ بالـمـجـون تـياه
يسقيك من طرفه ومـن يده سقي لطيفٍ مجربٍ داهـي
كأساً وكأساً كأن شـاربـهـا حيران بين الذكور والساهي

وذكر الصولي في نوادره قال: حدثني علي بن محمد بن نصرٍ قال: حدثني خالي أحمد بن حمدون قال: قال الحسين بن الضحاك من أبياتٍ وقد عمر:

أما في ثـمـانـين وفـيتـهـا عذير وإن أنـا لـم أعـتــذر
وقـد رفـع الـلـه أقـلامـه عن ابن ثمانين دون الـبـشـر
وإنـي لـمـن أسـراء الإلـه في الأرض نصب حروب القدر
فإن يقض لي عملاً صـالـحـاً أثاب وإن يقض شـراً غـفـر

وقال:

أصبحت من أسراء الله محتسـبـاً في الأرض نحو قضاء الله والقدر

إن الثمانين إذ وفـيت عـدتـهـا لن تبق باقيةً مـنـي ولـم تـذر

قلت: والأصل في قول الحسين بن الضحاك هذا، الحديث الذي رواه ابن قتيبة في غريب الحديث. قال: حدثنا أبو سفيان الغنوي، حدثنا معقل بن مالكٍ عن عبد الرحمن بن سليمان، عن عبيد الله بن أنسٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:)إذا بلغ العبد ثمانين سنةً فإنه أسير الله في الأرض، تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات(. وقال:

وصف البدر حسن وجهك حتى خلت أني ومـا أراك أراكـا

وإذا ما تنفس النرجس الغـض ض توهمته نسـيم شـذاكـا

خدع للمنى تعلـلـنـي فـي ك بإشراق ذا وبهـجة ذاكـا

وقال:

لا وحبـيك لا أصـا من بكى شجوه استرا كبدي في هواك أس لم تدع صورة الضنى فح بالدمع مدمـعـا ح وإن كان موجعا قم من أن تقطـعـا في للسقم موضعـا

وقال:

ألا إنما الدنيا وصال حـبـيب وأخذك من مشمولةٍ بنصيب

ولم أر في الدنيا كخلوة عاشقٍ وبذلة معشوقٍ ونوم رقـيب

وقال يمدح الوزير الحسن بن سهلٍ:

أرى الآمال غير معـرجـاتٍ على أحدٍ سوى الحسن بن سهل

يباري يومه غـده سـمـاحـاً كلا اليومين بان بكل فـضـل

أرى حسناً تقـدم مـسـتـبـداً ببعدٍ مـن رياسـتـه وقـبـل

فإن حضرتك مشكـلة بـشـكٍ شفاك بحكمةٍ وخطاب فصـل

سليل مرازبٍ ترعوا حلـومـاً وراح صغيرهم بسداد كـهـل

ملوك إن جريت بهم أبروا وعزوا أن توازيهم بعدل
ليهنك أن ما أرجيرشد وما أمضيت من قولٍ وفعل
وأنك مؤثر للحق فيما أراك الله في قطعٍ ووصل
وأنك للجميع حيا ربيع يصوب على قرارة كل محل

وقال يمدح الواثق لما ولي الخلافة:

أكتم وجدي فما ينكتم بمن لو شكوت إليه رحم
وإني على حسن ظني به لأحذر إن بحت أن يحتشم
ولي عند لحظته روعة تحقق ما ظنه المتهم
وقد علم الناس أني له محب وأحسبه قد علم
وإني لمغضٍ على لوعةٍ من الشوق في كبدي تضطرم
وعشية ودعت عن مدمعٍ سفوحٍ وزفرة قلب سدم
فما كان عند النوى مسعد سوى الدمع يغسل طرفاً كلم
سيذكر من بان أوطانه ويبكي المقيمين من لم يقم

ومنها في المديح:

إلى خازن الله في خلقه سراج النهار وبدر الظلم
ركبنا غرابيب زفافةٍ بدجلة في موجها الملتطم
إذا ما قصدنا ودهم قراقيرها

لقاطـولـهـا تصـطـدم
وصرنا إلى خير مسـكـونةٍ تيممها راغـب أو مـلـم
مباركةٍ شـاد بـنـيانـهـا بخير المواطن خير الـمـم
كأن بها نـشـر كـافـورةٍ لبرد نداها وطيب النـسـم
كظهر الأديم إذا ما السـحـا ب صاب على متنها وانسجم
مبرأةٍ من وحول الـشـتـاء إذا ما طمى وحله وارتكـم
فما إن يزال بـهـا راجـل يمر الهوينا ولا يلـتـطـم
ويمشي على رسلـه آمـنـاً سليم الشراك نقي الـقـدم
وللنون والضب في بطنهـا مراتع مسكونة والـنـعـم

ومنهم:

يضيق الفضاء به إن عدا بطودي أعاريبه والعجـم
ترى النصر يقدم راياتـه إذا ما خفقن أمام العلـم
وفي اللـه دوخ أعـداءه وجرد فهم سيوف النقـم
وفي الله يكظم من غيظه وفي الله يصفح عمن ظلم
رأى شيم الجود إلا محمـودةً وما شيم الجود إلا قسـم
فراح على نعمٍ واغتـدى كأن ليس يحسن إلا نعـم

وقال:

أتاني منـك مـا لـيس على مكروهه صبـر
فأغضيت على عـمـدٍ وقد يغضي الفتى الحر
وأدبتك بـالـهـجـر فما أدبك الـهـجـر
ولا ردك عـمـا كـا ن منك النصح والزجر
فلما اضطرني المكـر ه واشتد بـي الأمـر
تناولتك مـن ضـري بما لـيس لـه قـدر
فحركت جنـاح الـذل لٍ لما مسك الـضـر
إذا لم يصلح الخـير ام رأً أصلحـه الـشـر

وغضب عليه المعتص لشيءٍ جرى منه على النبيذ، فكتب إليه يسترضيه:

غضب الإمام أشـد وقد استجرت وعذت
مـن أدبـه من غضبه
أصبحت معتصماً أثنى الإله عليه فـي
بمعـتـصـمٍ كـتـبـه
لا والذي لم يبـق لـي أرجو النجاة به سوى
سـبـاً سـبـبـه
مالي شفيع غـير ولكل من أشفى على
حـرمـتـه عطـبـه

الحسين بن عبد اله بن يوسف

ابن أحمد بن شبل أبو علي البغدادي. ولد في بغداد وبها نشأ، وبها توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائةٍ. كان متميزاً بالحكمة والفلسفة، خبيراً بصناعة الطب، أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً، أخذ عن أبي نصرٍ يحيى بن جريرٍ التكريتي وغيره. وهو صاحب القصيدة الرائية التي نسبت للشيخ الرئيس ابن سينا وليست له، وقد دلت هذه القصيدة على علو كعبه في الحكمة والاطلاع على مكنوناتها، وقد سارت بها الركبان وتداولها الرواة، وهي:

بربك أيها الـفـلـك أقص ذا المسير أم
الـمـدار اضطرار??
مدارك قل لنـا فـي أي ففي أفهامنا منك
شـيءٍ انـبـهـار?
وفيك نرى الفضاء وهل سوى هذا الفضاء بـه
فضـاء تـدار?
وعندك ترفـع الأرواح أم مع الأجساد يدركها
هـل الـبـوار?
وموج ذي المجـرة أم على لجج الذراع لـهـا

فـرنـد مـدار
وفيك الشمس رافعةً بأجنحةٍ قـوادمـهـا
شـعـاعـاً قـصـار
وطوق الـنـجـوم إذا هلالـك أم يد فـيهـا
تـبـدى سـوار
وأفلاذ نجـومـك أم تؤلف بينـه لـجـج
حـبـاب غـزار
وتنشر في الفضا ليلاً نهاراً مثلمـاً يطـوى
وتطـوى الإزار
فكم بصقالها صـدئ وما يصدأ لهـا أبـداً
الـبـرايا غـرار
تبادي ثم تخنـس وتكنس مثلما كنس
راجـعـاتٍ الصـوار
فبينا الشرق يقدمها تلقاها من الغـرب
صـعـوداً انـحـدار
على ذا قد مضى وعليه طوال منىً وآجال
يمضي قـصـار
وأيام تـعـرفـنـا مـداهـا لها أنفاسـنـا أبـداً
شـفـار
ودهرٍ ينثر الأعمـار كما للورد في الروض
نـثـراً انتثار
ودنيا كلما وضعـت غذته من نـوائبـهـا
جـنـينـاً ظـؤار
هي العشواء ما خبطت هي العجماء ما جرحت
هشـيم جبار
فمـن يومٍ بـلا أمــسٍ بغير غدٍ إلـيه بـنـا
ويومٍ يسـار
ومن نفسـين فـي أخـذٍ لروح المرء في
وردٍ الجسم انتشار
وكم من بعد ما كانت إلى أجسامها طارت
نـفـوسٍ وطاروا

ألم تك بالجوارح آنساتٍ ... فأعقب ذلك الأنس النفار
فإن يك آدم أشقى بنيه ... بذنبٍ ماله منه اعتذار
ولم ينفعه بالأسماء علم ... وما نفع السجود ولا الجوار
فأخرج ثم أهبط ثم أودى ... فترب الساقيات له شعار
فأدركه بعلم الله فيه ... من الكلمات للذنب اغتفار
ولكن بعد غفرانٍ وعفوٍ ... يعير ما تلا ليلاً نهار
لقد بلغ العدو بنا مناه ... وحل بآدمٍ وبنا الصغار
وتهنا ضائعين كقوم موسى ... ولا عجل أضل ولا خوار
فيا لك أكلة لا زال منها ... علينا نقمة وعليه عار
نعاقب في الظهور وما ولدنا ... ويذبح في حشا الأم الحوار
وتنتظر البلايا والرزايا ... وبعد فللوعيد لنا انتظار
ونخرج كارهين كما دخلنا ... خروج الضب أخرجه الوجار
فماذا الإمتنان على وجودٍ ... لغير الموجدين به الخيار
وكان وجودنا خيراً لو أنا ... نخير قبله أو نستشار
أهذا الداء ليس له دواء ... وهذا الكسر ليس له انجبار?
تحير فيه كل دقيقٍ ... وليس لعمق جرحهم

فـهـم انسبـار
إذا التكوير غال وغال كواكب الأفق
الشمس عـنـا انتـثـار
وبدلنا بهـذي الأرض وطوح بالسموات
أرضـاً انفـطـار
وأذهلت المراضع عن لدهشتها وعطلت
بنـيهـا الـعـشـار
وغشي البدر من فرقٍ خسوف ليس يجلى أو
وذعـرٍ سـرار
وسيرت الجبال فكن مهيلاتٍ وسجرت
كـثـبـاً الـبـحـار
فأين ثبات ذي الألبـاب وأين مع الرجوم لنا
مـنـا اصطبار
وأين عقول ذي الأفهام يراد بنا وأين
مـمـا الإعـتـبـار?
وأين يغيب لـب كـان ضياؤك من سناه
فـيـنـا مستـعـار?
ولا أرض عصته ولا ففيما يغول أنجمها
سـمـاء انـكـدار
وقد وافته طـائعةً دخاناً ما لـقـاتـره
وكـانـت شـرار
قضاها سبعةً والأرض دحاها فهي لـلأمـوات
مهـداً دار
فما لسمو ما أعلى وما لعلو مـا أرسـى
انـتـهـاء فـرار
ولكـن ذا الـتـهـويل فـيه لمن يخشى اتعاظ
وازدجـار

وقال:

بنا إلى الدير كوثاً فلا تلمني فما تغني
صبـابـات الملامات
لا تبعدن وإن طال الزمان أيام لهوٍ عهدناهـا ولـيلات

بها

فكم قضينا لبانات الشباب بها غنماً وكم بقيت عندي لبانـات

ما مكنت دولة الأيام مقـبـلةً فانعم ولذ فإن العيش تـارات

قبل ارتجاع الليالي فهي عارية فإنما منح الدنـيا غـرامـات

قم فاجل في فلك البستان شمس ضحىً بروجها الزهر والجـامـات دارات

لعله إن دعا داعي الـحـمـام بـنـا نقضي وأنفسـنـا مـنـهـا رويات

بم التعلل لـولا الـراح فـي زمـنٍ أحياؤه في سبات الـهـم أمـوات?

بدت تحيي فقابـلـنـا تـحـيتـهـا وقد عراها لخوف المزج روعـات

مدت أشعة بـرقٍ مـن أبـارقـهـا على مقابلها منـهـا شـعـاعـات

فلاح في ساق ساقيها خلاخـل مـن تيرٍ وفي أوجه النـدمـان شـارات

قد وقع الصفو سطراً من فواقعـهـا لا فارقت شارب الراح المـسـرات

خذ ما تعجل واترك ما وعـدت بـه وكن لبيبـاً فـلـلـتـأخـير آفـات

ولـلـسـعـادة أوقـات مـقــدرة فيها السرور ولـلأحـزان أوقـات

وقال:

أيا جبلي نعمان بالـلـه خـلـيا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

أجد بردها أو تشف مني حرارةً على كبدٍ لم يبق إلا صميمهـا

فإن الصبا ريح إذا ما على كبدٍ حراء قلت

تنفسـت هـمومهـا

وقال:

ليكفكم ما فيكم من جوىً فمهلاً بنا مهلاً ورفقاً نـلـقـى بنا رفـقـا

وحرمة وجدي لا سلوت هـواكـم ولا رمت منه لا فكاكاً ولا عتقـا

سأزجر قلباً رام في الحب سلـوةً وأهجره إن لم يمت بكم عشـقـا

صحبت الهوى يا صاح حتى ألفته فأضناه لي أشفى وأفناه أي لأبقى

فلا الصبر موجود ولا الشوق بارح ولا أدمعي تطفي لهيبي ولا ترقـا

أخاف إذا ما الليل أخى سـدولـه على كبدي حرقاً ومن مقلتي غرقا

أيجمل أن أجزي من الوصل بالجفا فينعم طرفي والفؤاد بكم يشقـي?

أحظي هذا أم كذا كـل عـاشـقٍ يموت ولا يحيا ويظمي فلا يسقي

سل الدهر عل الدهر يجمع شملنـا فلم أر ذا حالٍ على حاله يبـقـى

وقال:

إذا كان دوني من بليت بجـهـلـه أبيت لنفسي أن أقابل بالـجـهـل

وإن كنت أدنى منه في الحلم والحجا عرفت له حق التقدم والفـضـل

وإن كان مثلي في الفطانة والحجـا أردت لنفسي أن أجل عن المثـل

وقال:

وفي اليأس إحدى الراحتين لذي الهوى على أن إحدى الراحـتـين عـذاب

أعف وبي وجد وأسلو وبـي جـوىً ولو ذاب منـي أعـظـم وإهـاب

وآنف أن تصطاد قلبي بلحظٍ وأن يروي صداي رضاب
كاعب
فلا تنكروا عن الكريم فحين تجوع الضاريات
على الأذى تهاب

وقال:

وكأنما الإنسان منا متكون والحس منه
غيره معار
متصرف وله القضاء ومسير وكأنه مختار
مصرف
طراً تصوبه الحظوظ خطأ تحيل صوابه
وتارةً الأقدار
تعمى بصيرته ويبصر لا يسترد الفائت
بعدما استبصار
وتراه يؤخذ قلبه من ويرد فيه وقد جرى
صدره المقدار
فيظل يوسع بالملامة ندماً إذا عبثت به
نفسه الأفكار
لا يعرف الإفراط في حتى يبينه له
إيراده الإصدار

وقال:

تلق بالصبر ضيف الهم إن الهموم ضيوف
حيث أتى أكلها المهج
فالخطب إن زاد يوماً والأمر إن ضاق يوماً
فهو منتقص فهو منفرج
فروح النفس بالتعليل واعلم إلى ساعةٍ من
ترض به ساعةٍ فرج

وقال:

إحفظ لسانك لا تبح سرٍ ومالٍ ما
بثلاثةٍ استطعت ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بمعكرٍ وبحاسدٍ
بثلاثةٍ ومكذب

وقال:

وعلى قدر عقله ء وحاذر براً يصير
فاعتب المر عقوقا
كم صديقٍ بالعتب صار وعدوٍ بالحلم صار
عدواً صديقـا

وقال:

ثقلت زجاجات أتتنـا حتى إذا مثلت بصرف
فـرغـاً الراح
خفت فكادت أن تطير وكذا الجسوم تخف
بما حوت بـالأرواح

وقال:

تسل عن كل شيءٍ يهون بعد بقاء الجوهر
بالحياة فقـد العرض
يعوض الله مالاً أنت وما عن النفس إن
متـلـفـه أتلفتها عوض

وقال:

قالوا اقناعة عز والذل والعار حرص
والكفـاف غـنـىً المرء والطمع
صدقتم من رضاه سـد إن لم يصبه فماذا منه
جـوعـتـه يقـتـنـع?

وقال:

إن لم تكن تجزع من عي إذا فاض فصنـه
دم
أو تكن مجـدت يومـاً سيداً يعفو فـكـنـه
أنا لا أصبـر عـمـن لا يجوز الصبر عنـه
كل ذنبٍ في الهوى يغ فر لي ما لم أخـنـه

وقال يرثي أخاه أحمد بن عبد الله بن يوسف:

غاية الحزن والسرور ما لحيٍ من بعد مـيتٍ
انقـضـاء بـقـاء
لا لبيدٍ بـأربـدٍ مـات وسلت صخراً الفتى
حـزنـاً الخنـسـاء
مثل ما في التراب يبلى حزن يبلي من بعده
الفتى فال والـبـكـاء

غير أن الأموات زالوا وأبـقـوا غصصاً لا يسيغـهـا الأحـياء
إنما نحـن بـين ظـفـرٍ ونـابٍ من خطوبٍ أسودهـن ضـراء
وتتمنى وفي المنى قصر الـعـم ر فنغدو بمـا نـسـر نـسـاء
صحة المرء للسـقـام طـريق وطريق الفناء هـذا الـبـقـاء
بالذي تغتذي نـمـوت ونـحـيا أقتل الداء للـنـفـوس الـدواء
ما لقينا من غدر دبـيا فـلا كـا نت ولا كان أخذها والعـطـاء
راجع جودها عليها فـمـهـمـا يهب الصبح يسترد الـمـسـاء
ليت شعري حلماً تمر بـنـا الأي يام أم ليس تـعـقـل الأشـياء
من فسادٍ يجنيه للعـالـم الـكـو ن فما للنفوس مـنـه اتـقـاء
قبـح الـلـه لـذةً لـشـقـانـا نالـهـا الأمـهـات والآبــاء
نحن لولا الوجود لم نألم الـفـقـ ر فإيجـادنـا عـلـينـا بـلاء
وقليلاً ما تصحب المهجة الجـس م ففيم الأسى وفيم الـعـنـاء?
ولـقـد أيد الإلـه عـقـــولاً حجة العود عـنـدهـا الإبـداء
غير دعوى قومٍ على الميت شـيئاً أنكرته الجـلـود والأعـضـاء
وإذا كان في الـعـيان خـلاف كيف في الغيب يستبين الخفـاء?
ما دهانـا مـن يوم أحـمـد ظلمات وما اسـتـبـان

إلا ضـياء
يا أخي عاد بعدك المـاء سـمـاً وسموماً ذاك النسـيم الـرخـاء
والدموع الغزار عادت مـن الأن فاس ناراً تثيرها الـصـعـداء
وأعد الحـياة غـدراً ولـو كـا نت حياةً يرضى بهـا الأعـداء
أين تلك الخلال والحـزم أين ال عزم أين السناء أين الـبـهـاء?
كيف أودى النعيم من ذلك الظـل ل وشيكاً وزال ذاك الغـنـاء?
أين ما كنت تنتضي من لـسـانٍ في مقامٍ ما للمواضي انتضـاء?
كيف أرجو شفاء ما بي? وما بي دون سكناي في ثـراك شـفـاء
أين ذاك الرواء والمنطق الجـز ل وأين الـحـياء أين الإبـاء?
إن محا حسنك التراب فما لـلـد دمع يوماً من صحن خدي انمحاء
أو تبـن لـم يبـن قـديم ودادي أو تمت لم يمت عليك الـثـنـاء
شطر نفسي دفنت والشطر بـاقٍ يتمنى ومن مـنـاه الـفـنـاء
إن تكن قدمتـه أيدي الـمـنـايا فإلى السابقين تمضي البـطـاء
يدرك الموت كل حـيٍ ولـو أخ فته عنه في برجها الـجـوزاء
ليت شعري وللبلا كل مـخـلـو قٍ بمـاذا تـمـيز الأنـبـياء?
موت ذي الحكمة المفضل بالنـط ق وذي العجمة البهـيم سـواء

لا غوى لفـقـده تـبـسـم الأر ض ولا للتقي تبكي الـسـمـاء
كم مصابيح أوجهٍ أطـفـأتـهـا تحت أطباق تربـهـا الـبـيداء

كم بدورٍ وشموسٍ وكـم أطـ واد مجدٍ أمست عليها العفاء
كم محا عزة الكواكب غـيم ثم أخفت ضياءها الأنـواء
إنما الناس قادم إثر مـاضٍ بدء قومٍ للآخرين انتـهـاء

وقال:

قالوا وقد مات محبوب فجـعـت بـه وفي الصبا وأرادوا عنه سـلـوانـي
ثانيه في الحسن موجود فقلـت لـهـم من أين لي في الهوى الثاني صباً ثاني

وقال:

ولو أنني أعطيت من دهري المنى وما كل من يعطي المنى بمسـدد
لقلت لأيامٍ مضين ألا ارجـعـي وقلـت لأيامٍ أتـين ألا ابـعـدي

الحسين بع عبد الله بن رواحة

ابن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة أبو عليٍ الأنصاري الحموي، الأديب الفقيه الشاعر المجيد، ولد بحماة ونشأ بها، ورحل إلى دمشق فأقام بها مدةً واشتغل بالفقه، وسمع الحديث من الحافظ أبي القاسم بن عساكر ومن عمه وآخرين.
ورحل إلى مصر فسمع بها وبالإسكندرية. ثم عاد إلى دمشق فشهد واقعة مرج عكا فقتل فيها شهيداً يوم الأربعاء من شعبان سنة خمسٍ وثمانين وخمسمائةٍ. وله من قصيدةٍ مهنئاً بها الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب بعيد النحر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائةٍ، وكان السلطان مخيماً بمرج فاقوس:

لقد خبر التجارب منـه حـزم وقلب دهره ظهراً لبـطـن
فساق إلى الفرنج الخيل بـراً وأدركهم على بحرٍ بسـفـن
وقد جلب الجواري يمدن بكل قـدٍ

بالجـواري مـرجـحـن
يزيدهم اجتماع فمرنان ينوح عـلـى
الشمل بـؤسـاً مـرن
زهت إسكندرية يوم ودمياط إلى المينا
سـيقـوا بـغـبـن
يرون خياله كالطيف فلو هجعوا أتاهم بعـد
يسـري وهـن
أبادهم تخـوفـه مناهم لو يبـيتـهـم
فـأمـسـى بـأمـن
تملك جيشاً شرقـاً فصاروا بين مملوكٍ
وغـربـاً ورهـن
أقـام بـآل أيوبٍ رأت منه الفرنجة
ربـاطـاً ضيق سجن
رجا أقصى الملوك ولم ير جهده في
السلم منهم الحرب يغني
فألقى السلم بعد ولم ير من مناه سوى
الحرب كرهاً التمنـي

وقال يرثي الحافظ أبا القاسم بن عساكر، وأنشدها بجامع دمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائةٍ:

ذرا السعي في نيل العلا مضى من إليه كان شد
والفضائل الرواحـل
فقولا لساري البرق إني بنار أسىً أو سحب دمعٍ
معـينـه هواطـل
وتمزيق جلباب العزاء بزفرة باكٍ أو بحـسـرة
لـفـقـده ثـاكـل
فأعلن به للركب لقصاده من قبل طي
واستوقف السرى المـراحـل
وقل غاب بدر التم عن وأشرق منهم بـعـده كـل
أنجم الدجى آفـل
وما كان إلا البحر غار سواحله لم يلق غـير
ومـن يرد الـجـداول

وهبكم رويتم علمه من رواته فليس عوالي صحبه بنوازل
فقد فاتكم نور الهدى بوفاته ونور التقى منه ونجح الوسائل
وما حظ من قد غره نصل صارمٍ رجا نصره من غمده والحمائل
ليبك عليه من رآه ومن حوى هداه بأيامٍ لديه قلائل
ويقض أسىً من فاته الفضل عاجلاً برؤيته والفوز في كل عاجل
أسفت لإرجائي قدوم أعزةٍ عليه وتسويفٍ إلى عام قابل
ولو أنهم فازوا بإدراك مثله لأزروا على سن الصبا بالأمائل
فيا لمصائبٍ عم سنة أحمدٍ وأحرم منها كل راوٍ وناقل
خلا الشام من خيرٍ خلت كل بلدةٍ بها من نظيرٍ للإمام مماثل
وأصبح بعد الحافظ العلم شاغراً بلا حافظٍ يهذي به كل باقل
وكم من نبيهٍ ضل مذ مات جاهه وقدم لما أن مضى كل خامل
خلت سنة المختار من ذب ناصرٍ فأيسر ما لاقته بدعة جاهل
نمى للإمام الشافعي مقالةً فأصبح يثني عنه كل مجادل
وأيد قول الأشعري بسنةٍ فكانت عليه من أدل الدلائل
وكم قد أبان الحق في كل محفلٍ فأورى بما يروي ظماء المحافل
وسد من التجسيم باب ورد من التشبيه شبهة

ضـلالةٍ بـاطـل
وإن يك قد أودى فـكـم مـن مركبةٍ من قـولـه فـي أسـنةٍ عـوامـل
وإن مال قوم واستمالـوا بإضلالهم عنه فـلـسـت رعـاعـهـم بـمـاثـل
أرى الأجر في نوحي عليه سوى الإثم في نوح البواكي ولا أرى الثواكـل
وليس الذي يبـكـي إمـامـاً كباكٍ لدنـياه عـلـى فـقـد لـدينـه راحـل
فيا قلب واصلـه بـأعـظـم ويا عين فاسـقـيه بـأغـزر رحـمةٍ وابـل
وحيي ثراه الدهـر أهـنـى مكررةٍ عند الـضـحـى تـحـيةٍ والأصـائل
أعني على نـوحـي عـلـيه قريب ثواءٍ في الثـرى فـإنـه والـجـنـادل
ولو لم يكن بالدمـع سـيل لضن على لحـدٍ بـه كـل لـحـبـه بـاخـل
مضى من حديث المصطفى له باجتهادٍ فـيه عـن كـل كان شاغلاً شـاغـل
لقـد شـمـل الإسـلام فـيه وكان له بالنصح أفـضـل رزية شـامـل
وفضل بين السـالـفـين عليهم فذب النقص عن كل اطـلاعـه فـاضـل
وأصبح في نقـد الـرجـال بغير نظيرٍ في الورى مـمـيزاً ومـسـاجـل
وأكمل تاريخاً لـجـلـق لمن جلها من كل شـهـمٍ جـامـعـاً وكـامـل
فأزرى بتاريخ الخـطـيب وقـد بخطيته في الكتـب أخـطـب عـدا قـائل

ومنها:

طوى الموت منه العلم وكسب المعالي واجتنـاب

والزهد والنهي الـرذائل
وأفجع فيه العـالـمـين صبورٍ على حرب الضلال بـمـقـدمٍ حلاحـل
وكان غيوراً ذب عـن دين أحـمـدٍ وأدفع عنه من شجـاعٍ مـقـاتـل
وأحرم منه الـدين أشـرف صـائنٍ له ولدفع الـزيغ أعـظـم صـائل
ولم أرَ نقص الأرض يوماً كنقصهـا بموت إمـامٍ عـالـمٍ ذي فـضـائل
أبا القاسـم الأيام قـسـمة حـاكـمٍ قضى بالفنا فينـا قـضـية عـادل
بماذا أعزي المسـلـمـين ولا أرى عزاءً سوى من قد مضى من أفاضل
عليك سلام الله ما انتـفـع الـورى بعلمك واستعلى على المـتـطـاول

وقال:

إن كان يحلو لديك قتلـي فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني وبينك الله في الحـسـاب

وقال:

لاموا عليك ومـا دروا أن الهوى سبب السعادة
إن كان وصل فالمنـى أو كان هجر فالشهادة

وعكسه فقال:

يا قلب دع عنك الهوى قسـراً ما أنت منـه حـامـد أمـرا
أضعت دنـياك بـهـجـرانـه إن نلت وصلاً ضاعت الأخرى

وقال:

وللزنبور والبازي لدى الطيران أجنحة جميعـاً وخفق

ولكن بين ما يصطاد بـازٍ وما يصطاده الزنبور فرق

الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد

الأستاذ مؤيد الدين أبو إسماعيل الأصبهاني المعروف بالطغرائي نسبته إلى من يكتب الطغراء، وهي الطرة التي تكتب ف أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن اسم الملك وألقابه، وهي كلمة أعجمية محرفة من الطرة، كان آيةً في الكتابة والشعر، خبيراً بصناعة الكيمياء، له فيها تصانيف أضاع الناس بمزاولتها أموالاً لا تحصى، وخدم السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان، وكان منشيء السلطام محمدٍ مدة ملكه متولي ديوان الطغراء، وصاحب ديوان الإنشاء. تشرفت به الدولة السلجوقية، وتشوقت إليه المملكة الأيوبية، وتنقل في المناصب والمراتب، وتولى الاستيفاء وترشح للوزارة، ولم يكن في الدولتين السلجوقية والإمامية من يماثله في الإنشاء سوى أمين الملك أبي نصرٍ العتبي. وله في العربية والعلوم قدر راسخ، وله البلاغة والمعجزة في النظم والنثر. قال الإمام محمد بن الهيثم الأصفهاني: كشف الأستاذ أبو إسماعيل بذكائه سر الكيمياء، وفك رموزها واستخرج كنوزها، وله فيها تصانيف منها: جامع الأسرار وكتاب تراكيب الأنوار، وكتاب حقائق الاستشهادات وكتاب ذات الفوائد، وكتاب الرد على ابن سينا في إبطال الكيمياء، ومصابيح الحكمة، وكتاب مفاتيح الرحمة. وله ديوان شعرٍ وغير ذلك. ولد سنة ثلاثٍ وخمسين وأربعمائةٍ، وقتل في الوقعة التي كانت بين السلطان مسعود بن محمودٍ وأخيه السلطان محمودٍ سنة خمس عشرة وخمسمائةٍ، وقد جاوز الستين، وروي أنه لما عزم السلطان محمود على قتل الطغرائي أمر به أن يشد إلى شجرة وأن يقف تجاهه جماعة بالسهام، وأن يقف إنسان خلف الشجرة يكتب ما يقول. وقال لأصحاب السهام لا ترموه حتى أشير إليكم، فوقفوا والسهام مفوقة لرميه فأنشد الطغرائي في تلك الحالة:

وقد أقول لمن يسدد سـهـمـه نحوي وأطراف المنـية شـرع
والموت في لحظات أحور طرفه دوني وقلبي دونـه يتـقـطـع
بالله فتش عن فؤادي هـل يرى فيه لغير هوى الأحبة موضـع
أهون به لو لم يكن فـي طـيه عهد الحبيب وسره المسـتـودع

فرق له وأمر بإطلاقه، ثم إن الوزير أغراه بقتله بعد حين فقتله. ومن شعر مؤيد الدين الطغرائي قصيدته التي تداولها الرواة وتناقلتها الألسن المعروفة بلامية العجم، وقد رأيت أن أوردها بتمامها إعجاباً بها قال:

أصالة الرأي صانتني عـن الـخـطـل وحلية الفضل زانتني لـدى الـعـطـل
مجـدي أخـيراً ومـجـدي أولاً شـرع والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
فيم الإقـامة بـالـزوراء لا سـكـنـي بها ولا ناقتـي فـيهـا ولا جـمـلـي
ناءٍ عن الأهل صفر الكـف مـنـفـرد كالسيف عري متنـاه عـن الـخـلـل
فلا صديق إليه مـشـتـكـى حـزنـي ولا أنيس إلـيه مـنـتـهـى جـذلـي
طال اغترابي حتـى حـن راحـلـتـي ورحلهـا وقـرا الـعـسـالة الـذبـل
وضج من لغبٍ نـضـوى وعـج لـمـا يلقى ركابي ولج الركب فـي عـذلـي
أريد بسـطة كـفٍ أسـتـعـين بـهـا على قضاء حقوقٍ لـلـعـلا قـبـلـي
والدهر يعكس آمـالـي ويقـنـعـنـي من الغنيمة بعـد الـجـد بـالـقـفـل
وذي شطاطٍ كصدر الرمح مـعـتـقـلٍ لمـثـلـه غـير هـيابٍ ولا وكـــل
حلو الفكاهة مر الـجـد قـد بشـدة الـبـأس مـنـه رقة

مـزجـت الـغـزل
طردت سرح الكرى عن ورد مقـلـتـه والليل أغرى سوام النـوم بـالـمـقـل
والركب ميل على الأكوار مـن طـربٍ صاحٍ وآخر من خمر الـهـوى ثـمـل
فقلت أدعوك للجلـى لـتـنـصـرنـي وأنت تخذلني في الـحـادث الـجـلـل
تنام عينـي وعـين الـنـجـم سـاهـرة وتستحيل وصبـغ الـلـيل لـم تـحـل
فهل تعين علـى غـيٍ هـمـمـت بـه والغي يزجر أحـيانـاً عـن الـفـشـل
إني أريد طـروق الـحـي مـن إضـيمٍ وقد حمـاه رمـاة مـن بـنـي ثـعـل
يحمونَ بالبيض والسـمـر الـلـدان بـه سود الغدائر حمر الحـلـي والـحـلـل
فسر بنا في ذمام اللـيل مـعـتـسـفـاً فنفخة الطيب تهـدينـا إلـى الـحـلـل
فالحب حـيث الـعـدا والأسـد رابـضة حول الكناس لهـا غـاب مـن الأسـل
نؤم نـاشـئة بـالـجـزع قـد سـقـيت نصالها بمـياه الـغـنـج والـكـحـل
قد زاد طيب أحـاديث الـكـرام بـهـا ما بالكرائم مـن جـبـنٍ ومـن بـخـل
تبيت نار الهوى مـنـهـن فـي كـبـدٍ حرى ونار القرى منهم على الـقـلـل
يقتلـن أنـضـاء حـبٍ لا حـراك بـه ويحـتـوين كـرام الـخـيل والإبــل
يشفى لديغ العـوالـي فـي بـيوتـهـم بنهلةٍ من غدير الخـمـر والـعـسـل
لعـل إلـمـامةً بـالـجـزع ثـانـيةً يدب منها نسيم البـرء فـي عـلـلـي

لا أكره الطعنة النجلاء قـد شـفـعـت برشقةٍ من نـبـال الأعـين الـنـجـل

ولا أهاب الصفاح البيض تسعـدنـي باللمح من خلل الأستار والـكـلـل
ولا أخـل بـغـزلانٍ تـغـازلـنـي ولو دهتني أسود الغـيل بـالـغـيل
حب السلامة يثني هـم صـاحـبـه عن المعالي ويغري المرء بالكسـل
فإن جنحت إليه فـاتـخـذ نـفـقـاً في الأرض أو سلماً في الجو فاعتزل
ودع غمار العلا للمقـدمـين عـلـى ركوبها واقتنع منهـن بـالـبـلـل
يرضى الذليل بخفض العيش مسكـنةً والعز تحت رسـيم الأينـق الـذلـل
فادرأ بها في نحور الـبـيد جـافـلةً معارضاتٍ مثاني اللجم بـالـجـدل
إن العلا حدثتـنـي وهـي صـادقة فيما تحدث أن العز في الـتـنـقـل
لو أن في شرف المأوى بلوغ مـنـىً لم تبرح الشمس يوماً دارة الحـمـل
أهبت بالحظ لو ناديت مسـتـمـعـاً والحظ عني بالجهـال فـي شـغـل
لعله إن بدا فـضـلـي ونـقـصـه لعينه نام عنـهـم أو تـنـبـه لـي
أعلل النفـس بـالآمـال أرقـبـهـا ما أضيق العيش لولا فسـحة الأمـل
لم أرض بالعـيش والأيام مـقـبـلة فكيف أرضى وقد ولت على عجل?
غالى بنفسي عرفاني بـقـيمـتـهـا فصنتها عن رخيص القدر مبتـذلـي

وعادة النصل أن يزهى بجوهره ... وليس يعمل إلا في يدي بطل
ما كنت أؤثر أن يمتد بي زمني ... حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
تقدمتني أناس كان شوطهم ... وراء خطوي إذ أمشي على مهل
هذا جزاء امرئٍ لأقرانه درجوا ... من قبله فتمنى فسحة الأجل
وإن علاني من دوني فلا عجب ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبرلها غير محتال ولا ضجرٍ ... في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
أعدى عدوك أدنى من وثقت به ... فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وإنما رجل الدنيا من لا يعول في الدنيا ... وواحدها على رجلِ
وحسن ظنك بالأيام معجزة ... فظن شراً وكن منها على وجل
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت ... مسافة الخلف بين القول والعمل
وشان صدقك عند الناس كذبهم ... وهل يطابق معوج بمعتدل
إن كان ينجع شيءٍ في ثباتهم ... على العهود فسبق السيف للعذل
يا وارداً سؤر عيشٍ كله كدر ... أنفقت صفوك في أيامك الأول
فيم اقتحامك لج البحر تركبه ... وأنت يكفيك منه مصة الوشل?
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا ... يحتاج فيه إلى الأنصار والخول
ترجو البقاء بدارٍ لا ثبات فهل ... سمعت بظلٍ غير

لـهـا منـتـقـل?
ويا خبيراً على الأسرار اصمت ففي الصمت
مـطـلـعـاً منجاة من الزلل
قد رشحوك لأمرٍ لو فـطـنـت لـه فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهـمـل

وقال يسلي معين الملك فضل الله في نكبته ويحضه على الصبر:

تصـدى ولـلـحـي الـمـنـيع غزال أحم المقـلـتـين كـحـيل
تصدى وأمر البين قـد جـد جـده وزمت جمال واستقـل حـمـول
وفي الصدر من نار الصبابة جاحم وفي الخد من ماء الجفون مسـيل
غزال له مرعى من القلب مخصب وظل صفيق الجانـبـين ظـلـيل
تناصف فيه الحسن أمـا قـوامـه فشطب وأما خصـره فـنـحـيل
قريب من الرائين يطمـع قـربـه وليس إليه للـمـحـب سـبـيل
إذا سار لحظ المرء في وجنـاتـه تضاءل عند الطرف وهو كـلـيل
ولما استقل الحي وانصدعـت بـه نوىً عن وداع الظاعنين عجـول
تراءى لنا وجه من الـخـد نـير وضاءت علينا نضـرة وقـبـول
فصبراً معين الملك إن عن حـادث فعاقبة الصبر الجمـيل جـمـيل
ولا تيأسن من صنـع ربـك إنـه ضمين بـأن الـلـه سـوف يديل
فإن الليالي إذ يزول نـعـيمـهـا تبـشـر أن الـنـائبـات تـزول

ألم تر أن الشمس بعد كسوفها لها منظر يغشي العيون صقيل
وأن الهلال النضو يغمر بعدما بدا وهو شخت الجانبين ضئيل
ولا تحسبن السيف يقصر كلما تعاوده بعد المضاء كلول
ولا تحسبن الدوح يقلع كلما يمر به نفح الصبا فيميل
فقد يعطف الدهر الأبي فيشفي عليل أو يبل عنانه غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما تساقط ريش واستطار نسيل
ويستأنف الغصن السليب فيورق ما لم يعتوره نضارةً ذبول
وللنجم من بعد الرجوع وللحظ من بعد الذهاب استقامة قفول
وبعض الرزايا يوجب عليك وأحداث الزمان الشكر وقعها شكول
ولا غرو إن أخنت عليك يصادم بالخطب الجليل فإنما جليل
وأي قناةٍ لم ترنح وأي حسامٍ لم يصبه كعوبها فلول?
أسأت إلى الأيام حتى فعندك أضغان بها وترتها وذحول
وصارفتها فيما أرادت ولولاك كانت تنتحي صروفها وتصول
وما أنت السيف يسكن ليردى به يوم النزال غمده قتيل
أمالك بالصديق يوسف فتحمل وطء الدهر وهو أسوة ثقيل?
وما غض منك الحبس طليق له في الخافقين

والذكر سائر زمـيل
فلا تذعنن للخطـب آدك فمثلك للأمر العظـيم ثـقـلـه حـمـول
ولا تجزعن للكبل مسـك فإن خلاخيل الـرجـال وقـعـه كـبـول
وصنع الليالي ما عدتك وإن أجحفت بالعالمـين سهامـهـا جـمـيل
وإن امرأً تعدو الحوادث ويأسى لما يأخـذنـه عرضـه لـبـخـيل

وقال:

أما العلوم فقد ظفرت منها فما أحتـاج أن بـبـغـيتـي أتـعـلـمـا
وعرفت أسرار الخلـيقة علماً أنار لي البهيم كـلـهـا المـظـلـمـا
وورثت هرمس سرحكمتـه ما زال ظناً ف الغيوب الـذي مرجـمـا
وملكت مفتاح الكنـوز كشفت لي السر الخفي بـحـكـمةٍ المبهـمـا
لولا التقيةِ كنت أظهر من حكمتي تشفي مـعـجـزاً القلوب من العمى
أهوى التكرم والتظـاهـر علمته والعقل ينهـي بـالـذي عـنـهـمـا
وأريد لا ألقـى غـبـياً في العالمين ولا لبيبـاً مـوسـراً مـعـدمـا
والناس إمـا جـاهـل أو فمتى أطيق تكرما ظـالـم وتـكـلـمـا?

وقال:

أيكية صدحت شجواً فأشعلت ما خبا من نار على فـنـنٍ أشجاني
ناحت وماً فقدت إنساً فذكرتني أوطاري ولا فجعت وأوطـانـي

طليقة من إسار الهـم أضحت تجدد وجد
نـاعـمة الموثق العاني
تشبهت بي في وجدٍ هيهات ما نحن في
وفي طربٍ الحالين سيان
ما في حشاها ولا في من نار قلبي ولا من ماء
جفنها أثر أجفاني
يا ربة البانة الغناء خضراء تلتف أغصاناً
تحضـنـهـا بأغصان
إن كان نوحك إسعاداً ناءٍ عن الهل ممنيٍ
لمغتـرب بهـجـران
فقارضيني إذا ما وجداً بوجدٍ وسلواناً
اعتادني طرب بـسـلـوان
ما أنت مني ولا يعنيك مني الليالي ولا تدرين
ما أخذت ما شاني
كلي إلى السحب دمعاً كدمعي وإرناناً
إسعادي فإن لها كإرنـانـي

وقال:

أقول لنضوي وهي من حنانيك قد أدميت كلمي
شجني خلو يا نضـو
تعالى أقاسمك الهموم بأنك مما تشتكـي كـبـدي
لتـعـلـمـي خـلـو
تريدين مرعى الريف وما يستوي الريف العراقي
والبدو أبتـغـي والبـدو
هناك هبوب الريح مثـلـك ومثلي ماء المزن مـورده
لاعـب صـفـو
ومحجوبةٍ لو هبت الـريح إليها المهارى بالعوالي
أرقـلـت ولـم يلـووا
صوت إليها وهي ممنوعة فحتام? أصبو نحو من لا له
الحـمـى نـحـو
هوىً ليس يسلى القرب وشجو قديم ليس يشبـهـه
عنه ولا النوى شـجـو

فأسـر ولا فـك ووجـد ولا أسـىً وسقم ولا برء وسكـر ولا صـحـو
عناء مـعـن وهـو عـنـدي راحة وسم زعاف طعمه في فمي حـلـو
ولولا الهوى ما شاقني لمـع بـارقٍ ولا هدني شجو ولا هـزنـي شـدو

وقال:

خبروها أني مرضت فقالت أضنىً طارفاً شكا أم تليدا?
وأشاروا بأن تعود وسـادي فأبت وهي تشتهي أن تعودا
وأتتني في خفيةٍ وهي تشكو رقبة الحي والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتـمـالـك أن أمالت علي عطفاً وجيداً
ثم قالت لتربها وهي تبكـي ويح هذا الشباب غضا جديدا
زورة ما شفت عليلاً ولكـن زيدت جمرة الفؤاد وقـودا
وتولت بحسرة البين تخفـي زفراتٍ أبين إلا صـعـودا

وقال:

أنظر ترى الجنة في وجهه لا ريب في ذاك ولا شك
أما ترى فيه الرحيق الذي ختامه من خاله مـسـك

الحسين بن علي بن الحسن

ابن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام بن المرزبان بن ماهان بن باذام بن ساسان بن الحرون من ولد بهرام جور ملك فارس، أبو القاسم المعروف بالوزير المغربي الأديب اللغوي الكاتب الشاعر، ولد فجر يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة، سنة سبعين وثلاثمائةٍ. وحفظ القرآن وعدة كتبٍ في النحو واللغة وكثيراً من الشعر، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة، ولم يبلغ العمر أربعة عشر ربيعاً، وكان حسن الخط سريع البديهة في النظم والنثر. ولما قتل الحاكم العبيدي أباه وعمه وأخويه هرب من مصر، فلما بلغ الرملة استجار بصاحبها حسان بن الحسن بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي

ومدحه فأجاره، وسكن جأشه وأزال خوفه ووحشته، فأقام عنده مدةً في خلالها نيته على الحاكم صاحب مصر، ثم رحل عنه متوجهاً إلى الحجاز مجتازاً بالبلقاء من أعمال دمشق، فلما وصل إلى مكة أطمع صاحبها بالحاكم ومملكة الديار المصرية، وجد في ذلك حتى أقلق الحاكم وخاف على ملكه، فاضطر إلى إرضاء ابن الجراح صاحب الرملة واستمالته ببذل الأموال، حيث بايع صاحب مكة أبا الفتوح الحسن بن جعفرٍ بالخلافة، فلما استمال الحاكم ابن الجراح هرب أبو الفتوح إلى مكة، وهرب الوزير أبو القاسم إلى العراق، وقصد فخر الملك أبا غالب بن خلف الوزير فأقام عنده بواسط مكرماً بعد أن رفع عنه طلب القادر بالله له، حيث اتهم أنه ورد لإفساد الدولة العباسية، فلما توفي فخر الملك مقتولاً عاد الوزير المغربي إلى بغداد، ثم شخص إلى الموصل فاتفق وفاة أبي الحسن كاتب قرواش بن هانئ بني عقيلٍ، فتولى الكتابة مكانه ووزر لقرواشٍ، ثم وزر بعد حينٍ لمشرف الدولة بن بويه مكان مؤيد المكل أبي عليٍ، ثم فارق مشرف الدولة وعاد إلى خدمة مخدومه الأول قرواشٍ، ثم تجدد للقادر سوء رأيٍ فيه، ففارق قرواشاً متوجهاً إلى ديار بكرٍ، فوزر فيها لسلطانها أحمد بن مروان، وأقام عنده إلى أن توفي في ثالث عشر من شهر رمضان سنة ثماني عشرة وأربعمائةٍ، وكانت وفاته بميافارقين، وحمل بوصيةٍ منه إلى الكوفة ودفن بها في تربةٍ مجاورةٍ لمشهد عليٍ - رضي الله عنه - واوصى أن يكتب على قبره:

كنت في سفرة الغواية والجه ... ل مقيماً فخان منـي قـدوم
تبت من كل مأتم فعسـى يم ... حى بهذا الحديث ذاك القديم
بعد خمسٍ وأربعين لقد مـا ... طلت إلا أن الغريم كـريم

وللوزير أبي القاسم رواية عن الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة، حكى عنه بسنده إلى المدائني أنه قال: كان رجل بالمدينة من بني سليمٍ يقال له جعدة، كان يتحدث إليه النساء بظهر المدينة فيأخذ المرأة فيعقلها إلى الحيطان ويثبت العقال، فإذا أرادت أن تثب سقطت وتكشفت، فبلغ ذلك قوماً في بعض المغازي فكتب رجل منهم إلى عمر - رضي الله عنه - بهذه الأبيات:

ألا أبـلـغ أبـا حـــفـــصٍ رســـولاً ... فداً لـك مـــن أخـــي ثـــقةٍ إزاري
قلائصنا هداك الله إناشغلنا عنكم زمن الحصار
لئن قلص تركن معقلاتٍ قفـا سـلـعٍ ... بـمـخـتـلـفٍ الـبـحـار

يعقلهن جعدة من سليمٍ وبئس معقل الذود الطوار
يعقلهنَ لأبيض شيظمي معر يبتغي بسط العرار

فلما قرأ عمر الأبيات قال: علي بجعدة من سليم فأتوه به، فكان سعيد يقول: إني لفي الأغيلمة إذا جروا جعدة إلى عمر، فلما رآه قال: أشهد أنك شيظمي كما وصفت، فضربه مائةً ونفاه إلى عمان. ومن شعر الوزير المغربي:

خف الله واستدفع سطاه وسخطه وسائله فيما تسأل الله تعطه
فما تقبض الأيلم في نيل حاجةٍ بنان فتىً أبدى إلى الله بسطه
زكن بالذي قد خط باللوح راضياً فلا مهرب مما قضاه وخطه
وإن مع الرزق اشتراط التماسه وقد يتعدى إن تعديت شرطه
ولو شاء ألقى في فم الطير قوته ولكنه أوحى إلى الطير لقطه
إذ ما احتملت العبء فانظر قبيل أن تنوء به ألا تروم محطه
وأفضل أخلاق الفتى العلم والحجا إذا ما صروف الدهر أخلقن مرطه
فما رفع الدهر امرأً بغير التقى والعلم إلا عن محله وحطه

وقال:

حلقوا شعره ليكسوه قبحاً غيرةً منهم عليه وشحا
كان صبحاً عليه ليل بهيم فنحرا ليله وأبقوه صبحا

وقال:

لي كلما ابتسم النهار بمحدثٍ ما شاء قلبي تعلة شأنه
فإذا الدجى وافى وأقبل جنحه فهناك يدري الهم أين مكانه?

وقال:

إذا ما الأمور اضطربن اعتلى سفيه يضام العلا باعـتـلائه
كذا الماء إن حـركـتـه يد طفا عكر راسب في إنـائه

وقال:

أرى الناس في الدنيا كراعٍ تنكرت مراعيه حتى ليس فيهن مرتـع
فماءً بلا مرعىً ومرعً بغير ماء وحيث ترى ماءً ومرعىً فمسبع

وقال:

سأعرض كل منـزلةٍ فإن أسلم رجعت وقد وإن أعطب فلا عجب تعرض دونها العطب ظفرت وأنجح الطلب لكل منـيةٍ سـبـب

وقال:

لو كنت أعرف فوق الشكر منزلةً إذاً منحتكـمـا مـنـي مـهـذبةً أعلى من الشكر عند الله في الثمن حذواً على حذو ما واليت من حسن

وقال:

أقول لها والعيس تحدج للـسـرى سأنفق ريعـان الـشـبـيبة آنـفـاً أليس من الخـسـران أن لـيالـياً عدي لفقدي ما استطعت من الصبر على طلب العلياء أو طلب الأجـر تمر بلا نفعٍ وتحسب من عمـريً

وقال:

الدهر سهل وصعب فاكسب بمالك حمداً ومـا يدوم سـرور والعيش مر وعذب فليس كالحمد كسب فاغنم وقلبك رطب

وقال:

من بعد ملكي ومتـم أن تـغـدروا ما بعد فرقة ما ملـكـت تـخـير

ردوا الفؤاد كما عهدتم لـلـحـشـا ولطرفي الساهي الكرى ثم اهجروا

وقال:

لا تشاور من ليس يصفيك وداً إنه غير سالكٍ بك قـصـداً

واستشر في الأمور كل لبيبٍ ليس يأتوك في النصيحة جهدا

وقال:

تأمل من أهواه صفرة خاتمي فقال بلطفٍ لم تجنبت أحمره?

فقلت: لعمري كان أحمر لونه ولكن سقامي حل فيه فغـيره

وقال:

إني أبـثـك مـن حـديث ي و الحديث له شـجـون

فارقت موضع مـرقـدي ليلاً ففارقني الـسـكـون

قل لـي فـأول لـيلةٍ في القبر كيف ترى أكون?

الحسين بن عبد الله بن أحمد

ابن عبد الجبار الأمير أبو الفتح المعروف بابن أبي حصينة المعري، الأديب الشاعر، توفي بسروج في منتصف شعبان سنة سبعٍ وخمسين وأربعمائةٍ وكان سبب تقدمه ونواله الإمارة: أن الأمير تاج الدولة بن مرداسٍ إلى حضرة المستنصر العبيدي رسولاً سنة سبعٍ وثلاثين وأربعمائةٍ، فمدح المستنصر بقصيدةٍ قال فيها:

ظهر الهدى وتجمـل الإسـلام وابن الرسول خـلـيفة وإمـام

مستنصر باللـه لـيس يفـوتـه طلب ولا يعتاص عنـه مـرام

حاط العباد وبات يسهر عـينـه وعيون سكـان الـبـلاد نـيام

قصر الإمام أبي تميمٍ ويمينه ركن لها
كعبة ومقام
لولا بنو الزهراء ما فينا ولا تبع الهدى
عرف التقى الأقوام
يا آل أحمد ثبتت وتزلزلت بعداكم
أقدامكم الأقدام
لستم وغيركم سواءً، للذين أرواح وهم
أنتم أجسام
يا آل طه حبكم فرض وإن عذل اللحاة
وولاؤكم ولاموا

وهي طويلة. ثم مدحه سنة خمسين وأربعمائةٍ، فوعده بالإمارة، وأنجز له وعده سنة إحدى وخمسين، فتسلم سجل الإمارة من بين يدي الخليفة في ربيعٍ الآخر من السنة، فمدحه بقصيدةٍ منها:

أما الإمام فقد وفى صلى الإله على الإمام
بمقالةٍ وآله
لذنا بجانبه فعم وببذله وبصفوه
بفضله وجماله
لا خلق أكرم من معدٍ محمودة في قوله
شيمةً وفعاله
فاقصد أمير المؤمنين بؤساً وأنت مظلل
فما ترى بظلاله
زاد الإمام على البحور وعلى البدور بحسنه
بفضله وجماله
وعلا سرير الملك من من لاتمر الفاحشات
آل الهدى ببباله
النصر والتأييد في ومكارم الأخلاقفي
أعلامه سربباله
مستنصر بالله ضاق عن شبهه ونظيره
زمانه ومثاله

وكان الذي سعى في تأميره وكتب له سجل الإمارة أبو عليٍ صدقة بن إسماعيل بن فهدٍ الكاتب، فمدحه الأمير أبو الفتح بقصيدةٍ منها:

قد كان صبري عيل حتى استندت إلى ابن
في طلب العلا إسماعيلا

فظفرت بالخطر يحوي الجليل من
الجليل ولـم يزل استعان جـلـيلا
لولا الوزير أبو عـلـيٍ أبداً إلى الشرف
لـم أجـد العلـي سـبـيلا
إن كان ريب الدهر عندي فقد صار القبـيح
قبح ما مضى جـمـيلا
وأجل ما فعل الرجال للراغبين العـز
صلاتـهـم والـتـبـجـيلا
اليوم أدركت الـذي أنـا والأمس كان طلابـه
طـالـب تـعـلـيلا

وقال يمدح أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداسٍ:

سرى الطيف هندٍ فأخفى دجى ليلٍ
والمطي بنا تسـري وأبدى سنـا فـجـر
خليلي فكاني مـن فجاج البوادي الغبر
الـهـم واركـبـا في النوب الغمـر
إلى ملكٍ من عامرٍ لـو مناقبه أغنت عن
تـمـثـلـت الأنـجـم الـزهـر
إذا نحن أثنـينـا عـلـيه إلينا المطايا مصغياتٍ
تـلـفـتـت إلى الـشـكـر
وفوق سرير الملك فتـىً ولـدتـه أمـه لـيلة
مـن آل صـالـحٍ الـقـدر
فتىً وجهه أبهى من وأخلاقه أشهى من
البدر مـنـظـراً الماء والـخـمـر
أبا صـالـح أشـكـو عدتني كما يشكو
إلـيك نـوائبـاً النبات إلى القـطـر
لتنظر نحوي نظـرةً إن إلى الصخر فجرت
نـظـرتـهـا العيون من الصخر
وفي الدار خلفي صبية يطلون إطلال الفراخ
قد تركـتـهـم مـن الـوكـر
جنيت على روحي فأثقلت ظهري بالذي
بروحـي جـنـايةً خف من ظهري

فهب هبةً يبقى عليك ثـنـاؤهـا بقاء النجوم الطالعات التي تسري

قال المير أسامة بن منقذٍ: فلما فرغ من إنشاده أحضر الأمير أسد الدولة القاضي والشهود، وأشهد على نفسه بتمليك الأمير أبي الفتح بن أبي حصينة ضيعةً من ضياعه لها ارتفاق كبير، وأجازه فأحسن جائزته فأثرى وتمول، ولما ملك محمود بن نصر بن صالح بن مرداسٍ حلب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائةٍ، مدحه بقصيدة منها:

كفي ملامك فالتبـريح يكـفـينـي أو جربي بعض ما ألقى ولومينـي

برمل يبرين أصبتم فهل عـلـمـت رمال يبرين أن الشوق يبـرينـي

أهوى الحسان وخوف الله يردعنـي عن الهوى والعيون النجل تغوينـي

ما بال أسماء تلويني مـواعـدهـا أكل ذات جمـالٍ ذات تـلـوين?

كان الشباب إلى هنـدٍ يقـربـنـي وشاب رأسي فصار اليوم يقصيني

يا هند إن سواد الرأس يصلح لـلـد دنيا وإن بـياض الـرأس لـلـدين

لست امرءاً غيبة الأحرار من شيمي ولا النميمة من طبعـي ولا دينـي

دعني وحيداً أعاني العيش منفـرداً فبعض معرفتي بالناس تكفـينـي

ما ضرني ودفاع الله يعصـمـنـي من بات يهدمني فاللـه يبـنـينـي

وما أبالي وصرف الدهر يسخطني وسيب نعماك يا ابن الصيد يرضيني

أبا سلامة عش واسلم حلـيف عـلاً وسؤددٍ بشعاع الشمـس مـقـرون

أشنا عداكم وأهوى أن أدين لـكـم فللعدى دينهم فيكـم ولـي دينـي

فلما أتم إنشادها قال له تمنَّ، قال: أتمنى أن أكون أميراً، فجعله أميراً يجلس مع الأمير، ويخاطب بالأمير وقربه، وقد تقدم أن الإمارة وجهت إليه سنة إحدى وخمسين من ديوان المستنصر بمصر، ولا منافاة بين الروايتين، إذ يمون توجيه الإمارة إليه من الأمير محمود بن نصر تالياً لتوجيهها إليه من جانب المستنصر ومؤكداً مؤيداً له، ووهبه صاحب حلب محمود أيضاً مكاناً بحلب تجاه حمام الواساني فجعله داراً وزخرفها، فلما تم بناؤها نقش على دائرة الذرابزين فيها:

دار بنيناها وعشنـا بـهـا في دعةٍ من آل مـرداس

قوم محوا بؤسي ولم يتركوا علي في الأيام من بـاس

قل لبني الدنيا ألا هـكـذا فليحسن الناس إلى النـاس

ولما تكامل البناء عمل دعوةً حضرها الأمير محمود بن نصر، فلما رأى حسن الدار وقرأ الأبيات المتقدمة قال: يا أبا الفتح كم صرفت على بناء الدار؟ قال: يا مولاي هذا الرجل تولى عمارتها. ولا أدري كم صرف عليها؟ فسأل المعمار فقال: غرم عليها ألفا دينارٍ مصريةٍ، فأمر بإحضار ألفي دينارٍ وثوبٍ أطلسٍ وعمامةٍ مذهبةٍ وحصانٍ بطوقٍ مذهبٍ وسرفسارٍ ذهبٍ فسلمها إلى ابن أبي حصينة وقال له:

قل لبني الدنيا ألا هكـذا فليحسن الناس إلى الناس

وحضر بعد أيامٍ رجل من أهل المعرة يقال له الزقوم من رعاع الناس وأسافلهم، فطلب رزق جندٍي فأعطى ذلك وجعل من أجناد المعرة، فقال أحمد بن محمدٍ المعروف بابن الزويدة المعري في ذلك:

أهل المعرة تحت أقبح خطةٍ وبهم أناخ الخطب وهو جسيم

لم يكفهم تأمير ابن حـصـينةٍ حتى تجند بعـده الـزقـوم

يا قوم قد سئمت لذاك نفوسنـا يا قوم أين الترك أين الروم?

فشاعت الأبيات وسمعها الأمير أبو الفتح، فذهب إلى بيت ابن الزويدة فلما دخل عليه قال له ابن الزويدة: الآن والله كان عندي الزقوم وقال لي: والله ما بي من الهجو ما بي من أنك قرنتني بابن أبي حصينة، فقال له ابن حصينة: قبحك الله وهذا وهذا هجو ثانٍ وقال يمدح قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب صاحب نصيبين:

أبت عبراته إلا انهـمـالاً عشية أزمع الحي ارتحالا

أجدك كلما هموا ترقرق ماء عينك ثم

بـنـأيٍ سالا
تقاضينا مواعد أم عمـروٍ فضنت أن تنيل وأن تنالا
وسارٍ خيالها الساري إلينـا فلو علمت لعاقبت الخيالا

ومنها:

إذا بلغت ركائبنا قريشـاً فقد بلغت بنا الماء الزلالا
فتىً لو مد نحو الجو باعـاً وهم بأن ينال الشهب نالا
إذا انتسب ابن بدرانٍ وجدنا مناسبه الملية لا تعـالـى
تتيه بها إذا ذكرت مـعـد وتكسب كل قيسيٍ جمالا
أيا علن الهدى نجوى محبٍ يحبكم اعتقاداُ لا انتحـالا
مننت فلم تجشمني عنـاءً وجدت فلم تكلفني سـؤالا
إذا عدم الزمان مسـيبـياً أتاح الله للـدنـيا وبـالا

وهي طويلة اكتفينا منها بما ذكرناه.

وقال يرثي زعيم الدولة أبا كاملٍ بركة بن المقلد بن المسيب. وتوفي بتكريت سنة ثلاثٍ وأربعين وأربعمائةٍ:

من عظيم البلاء موت العـظـيم ليتني مت قبل مـوت الـزعـيم
يا جفوني سحي دماً أو فحـمـي صحن خدي بعبرةٍ كالـحـمـيم
بعد خرقٍ من الـمـلـوكً كـريمٍ ما زمـان أودى بـه بـكـــريم
جعفري النصاب من صفوة الصف وة في الفخر والصميم الصمـيم

يا أبا كاملٍ برغمـي أن ك سكنى التراب بعد يشـقـي الـنـعـيم
أو تبيت القصـور ك ومن وجهك
خـالـيةً مـن الوضيء الوسـيم
وانقراض الكرام من ر ومن عادة الـزمـان
شـيم الـده الـلـئيم
قد بكت حسرةً عليه وشكت فقده بـنـات
الـمـذاكـي الـرسـيم

وهي قصيدة طويلة، وقال يرثي أبا العلاء المعري:

العلم بعد أبي الـعـلاء والأرض خالية
مـضـيع الجوانب بلـقـع
أودى وقد ملأ الـبـلاد تسري كما تسري
غـرائبـاً النجوم الطلـع
ما كنت أعلم وهو أن الثرى فيه
يودع في الثرى الكـواكـب تـودع
جبل ظننت وقد أن الجبال الـراسـيات
تزعزع ركـنـه تـزعـز
وعجبت أن تسع ويضيق بطن الأرض
المعـرة قـبـره عنه الأوسع
لو فاضت المهجات ما استكثرت فيه
يوم وفـاتـه فكيف الأدمـع?
تتصرم الـدنـيا ويأتـي أمم وأنت بمثـلـه لا
بـعـده تـسـمـع
لا تجمع المال العتـيد من قبل تركك كل
وجـد بـه شيءٍ تجمـع
وإن استطعت فسر تأمن خديعة من يضـر
بسيرة أحـمـدٍ ويخـدع
رفض الحياة ومات متطوعاً بـأبـز مـا
قبل ممـاتـه يتـطـوع
عين تسهد أبداً وقلب للمهـيمـن
للعفـافـولـلـتـقـى يخـشـع

شيم تجملـه فـهـن لـمـجـده تاج ولكن بـالـثـنـاء يرصـع
جادت ثراك أبا العـلاء غـمـامة كندى يديك ومـزنة لا تـقـلـع
ما ضيع الباكي علـيك دمـوعـه إن البكاء على سـواك مـضـيع
قصدتك طلاب العـلـوم ولا أرى للعلم باباً بـعـد بـابـك يقـرع
مات النهى وتعطلـت أسـبـابـه وقضى العلا والعلم بعدك أجمـع

وقال يرثي أبا يعلى حمزة بن الحسين بن العباس الحسيني الدمشقي، وكان يوم وفاته بدمشق:

هوى الشرف العالي بموت أبي يعلى ولا غرو أن جلت رزية من جلـى
سيصلى بنار الحزن من كان آمـنـاً به أنه في الحشر بالنار لا يصلـى
تحلت به الدنيا فـحـل بـه الـردى فعطلها من ذلك الحلي من حـلـى
فقدناه فقد الغـيث أقـلـع وبـلـه عن الأرض لما أنفدت ذلك الوبـلا
لقد فل منه الدهـر حـد مـهـنـدٍ تركنـا بـه كـل حـدٍ لـه فـلا
فلست أبالـي بـعـده أي عـابـرٍ من الناس أملى اللـه مـدتـه أم لا
تقل دموعي والـهـمـوم كـثـيرة كذاك دخان النار إن كثـرت قـلا
وآنف أن أبكي عـلـيك بـعـبـرةٍ إذا لم يكن غرباً من الدمع أو سجلا

وقال يرثي معتمد الدولة قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل، توفى مسجوناً بقلعة الجراحية. وقيل: قتله ابن أخيه قريش في مستهل رجبٍ سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائةٍ، ودفن بتل توبة من مدينة نينوى:

أمثل قـرواشٍ يذوق الـردى يا صاح ما أوقح وجه الحمام

حاشا لذاك الوجه أن يعرف ال بؤس وأن يحثى عليه الرغام
وللجبين الصلت أن يسلـب ال بهجة أو يعدم حسن الوسـام
يا أسف الناس علـى مـاجـدٍ مات فقال الناس مات الكرام
غير بعيدٍ يا بـعـيد الـنـدى ولا ذميم يا وفـي الـذمـام
زلت فلا القصر بـهـي ولا بابك معمور كثير الـزحـام
ولا الخيام البيض منـصـوبة بوركت يا ناصب تلك الخـيام
قبحاً لدنيا حطمت أهـلـهـا وآخذتهم باكتساب الحـطـام
تأخذ ما تعطي فمـا بـالـنـا نكثر فيما لا يدوم الخـصـام
يا قبر قرواشٍ سـقـيت الـيا ولا تعدتك غوادي الغـمـام
قضى ولم أقض علـى إثـره إني لمن ترك الوفا ذو احتشام
أنظم شعراً والجوى شاغلـي يا عجباً كيق استقام الـكـلام

ولما وصل أرمانوس ملك الروم إلى حلب سنة إحدى وعشرين وأربعمائةٍ، ومعه ملك الروس وملك البلغار والألمان و البلجيكوالخزر والأرمن في ستمائة ألفس من الفرنج، قاتلهم شبل الدولة نصربن صالحٍ صاحب حلب. فهزمهم وتبعهم إلى عزازٍ وأسر جماعةً من أولاد ملوكهم، وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمةً، فقال ابن أبي حصينة في ذلك وأنشدها شبل الدولة بظاهر قنسرين:

ديار الحي مـقـفـرة كأن رسوم دمنتهـا يبـاب كـتـاب

نأت عنها الرباب وبات يهمي عليها بعد ساكنها الـربـاب
تعاتبني أمامة في التصـابـي وكيف به وقد فات الشبـاب?
نضا مني الصبا ونضوت منه كما ينضو من الكف الخضاب

زمنها:

إلى نصرٍ وأي فتىً كنـصـرٍ إذا حلت بمغنـاه الـركـاب
أمنتهك الفرنج غداة ظـلـت حطاماً فيهم السمر الصلاب?
جنودك لا يحيط بهن وصـف وجودك لا يحصله حـسـاب
وذكرك كله ذكـر جـمـيل وفعلك كله فعـل عـجـاب
وأرمانوس كان أشـد بـأسـاً وحل به على يدك الـعـذاب
أتاك يجر بحـراً مـن حـديدٍ له في كل ناحـيةٍ عـتـاب
إذا سارت كتـائبـه بـأرضٍ تزلزلت الأباطح والهضـاب
فعاد وقد سلبت الملك عـنـه كما سلبت عن الميت الثـياب
فما أدناه من خـيرٍ مـجـيء ولا أقصاه عن شـرٍ ذهـاب
فلا تسمع لطنطـنة الأعـادي فإنـهـم إذا طـنـوا ذبـاب
ولا ترفع لمن عـاداك رأسـاً فإن الليث تنبحـه الـكـلاب

وقال:

أشد من فاقة الزمان مقام حرٍ على هوان

فاسترزق الله واستعنه فإنه خير مستعـان
وإن نبا منزل بحـرٍ فمن مكانٍ إلى مكان

وقال:

بكت على غداة البين حـين رأت دمعي يفيض وحالي حال مبهوت
فدمعي ذوب ياقوتٍ على ذهـبٍ ودمعها ذوب درٍ فـوق ياقـوت

وقال:

لا تخدعنك بعد طول تجاربٍ دنيا تغر بوصلها وستقطـع
أحلام نومٍ أو كـظـلٍ زائلٍ إن اللبيب بمثلها لا يخـدع

وقال يمدح ثابت بن شمال بن صالح بن مرداسٍ:

لو أن داراً أخبرت عن ناسـهـا لسألترامة عن ظباء كنـاسـهـا
بل كيف تخبر دمنة ما عنـدهـا علم بوحشتها ولا إينـاسـهـا?
ممحوة العرصات يشملها البلـى عن ساحبات المرط فوق دهاسها

ومنها:

وزمان لهوٍ بالـمـعـرة مـونـقٍ بشياتها وبجانبـي هـرمـاسـهـا
أيام قلّت لذي المـودة اسـقـنـي من خندريس حناكها أو حاسـهـا
حمراء تغنينا بسـاطـع لـونـهـا في الليلة الظلماء عن نبراسـهـا
وكأنما حبب الـمـزاج إذا طـفـا در ترصع في جوانب طاسـهـا
رقـت فـمـا أدرى زجـاجـهـا في جسمها أم جسمها في كأسها??
وكأنما زرجونة جـاءت سقيت مذاب التبر

بـهـا عند غراسها
فأتت مشعشعةً راعت أكف القوم عند
كجذوة قـابـس مساسها
لله أيام الصـبـاً وزمان جدتها ولين
ونـعـيمـهـا مراسـهـا
مالي تعيب البيض وسبيلها تصبو إلى
بيض مفارقي أجناسـهـا
نور الصباح إذا الدجنة أبهى وأحسن من
أظلمـت دجى أغلاسها
إن الهوى دنس طهرت هذي النفس
النفوس فليتنـي من أدناسها
ومطـامـع الـدنـيا ولا شيئاً أعز لمهجةٍ من
أرى ياسـهـا
من عف لم يذمم ومن لم تخله التبعات من
تبع الخنـا أوكاسـهـا
زين خصالك بالسماح دنيا تراك وأنت بعض
ولا تـرد خساسها
ومتى رأيت يد امرئٍ تبغي مؤاساة الكريم
ممـدودةً فواسـهـا
خير الأكف السابقات كف تجود عليك في
بجـودهـا إفلاسهـا

ومنها في المدح:

أما نزار فكلها لكـريمة لكن أكرمها بنو
مرداسها

وقال:

إذا المرء لم يرض ما ولم يأت من أمره
أمكنه أحسنـه
فدعه فقد سـاء سيضحك يوماً ويبكي
تـدبـيره سنه

وقال:

الدهر خداعة خلـوب وصفوه بالقذى
مشوب

فلا تغرنك الليالي فبرقها خلب كذوب
وأكثر الناس فاعتزلهم قوالب مالها قلوب

الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد

ابن عثمان بن جعفرٍ، أبو عبد الله الكلابي المعروف بابن الزلازل من بني جعفر بن كلابٍ اللغوي الأديب الكاتب الشاعر. أخذ عن أبي القاسم الزجاجي وأبي بكرٍ الخرائطي وغيرهما. توفي سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمائةٍ.
وله مصنفات منها: كتاب أنواع الأسجاع، ابتدأ بتأليفه في دمشق سنة ثلاثٍ وأربعين وثلاثمائةٍ، وروى فيه عن شيوخه وغيرهم، وهو كتاب ممتع أجاد وضعه وتأليفه.
ومن شعر ابن أبي الزلازل:

لقد عرفتك الحادثات وقد أدبت إن كان ينفعك الأدب
نفوسها
ولو طلب الإنسان من دوام الذي يخشى لأعياه ما طلب
صرف دهره

وقال:

فتىً لرغيفه قرط وإكليلان من خزرٍ وشزر
وشنف
إذا كسر الرغيف بكى بكا الخنساء إذ فجعت بصخر
عليه

وقال مهنئاً بعض الأمراء بالعيد:

عيد يمنٍ مؤكد من تصاريف طارق الحدثان
بأمان
جعل الله عيد عامك خير عيدٍ وذاك خير التهاني
هذا
ثم لا زلت من زمانك و ومن شرب صرفه في أمان
في صف
آخذاً ذمةً من الدهر فر معقودةً بأوفى ضمان
لا تخ
نافذ الأمر عالي القدر د المساعي مؤيد السلطان
محمو

وقال:

ثمانية قام الوجود ترى من محيصٍ للورى عن ثمانيه?
بها فهل
سرور وحزن وعسر ويسر ثم سقم وعافيه
واجتماع وفرقة

بهن انقـضـت أعـمـار أولاد آدمٍ فهل من رأى أحوالهم متـسـاويه?

الحسين بن عبد السلام

أبو عبد الله المصري المعروف بالجمل، الشاعر المشهور، كان شاعراً مفلقاً مدح الخلفاء والأمراء. توفي في ربيع الآخر سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين. قدم دمشق وافداً على أحمد بن المدبر، وكان أحمد يقصده الشعراء، فمن مدحه بشعرٍ جيدٍ أجزل صلته، ومن مدحه بشعرٍ رديءٍ وجه به مع خادمٍ له إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلي مائة ركعةٍ ثم يصرفه. فدخل عليه الجمل وأنشده:

أردنا في أبي حـسـنٍ مـديحـاً كما بالمدح تنـتـجـع الـولاة

فقالوا أكرم الـثـقـلـين طـراً ومن جدواه دجـلة والـفـرات

وقالوا يقبل الشـعـراء لـكـن أجل صلات مادحه الـصـلاة

فقلت لهم وما يغنـي عـيالـي صلاتي? إنما الشأن الـزكـاة

فيأمر لي بكسر الصاد مـنـهـا فتصبح لي الصلاة هي الصلات

وكأنما زرجونة جـاءت بـهـا سقيت مذاب التبر عند غراسها

فأتت مشعشعةً كجذوة قـابـسٍ راعت أكف القوم عند مساسها

لله أيام الصـبـاً وزمان جدتها ولين ونـعـيمـهـا مراسـهـا

مالي تعيب البيض بيض مفارقي وسبيلها تصبو إلى أجناسـهـا

نور الصباح إذا الدجنة أظلمـت أبهى وأحسن من دجى أغلاسها

إن الهوى دنس النفوس فليتنـي طهرت هذي النفس من أدناسها

ومطـامـع الـدنـيا ولا أرى شيئاً أعز لمهجةٍ من ياسـهـا

من عف لم يذمم ومن تبع الخنـا لم تخله التبعات من أوكاسـهـا
زين خصالك بالسماح ولا تـرد دنيا تراك وأنت بعض خساسها
ومتى رأيت يد امرئٍ ممـدودةً تبغي مؤاساة الكريم فواسـهـا
خير الأكف السابقات بجـودهـا كف تجود عليك في إفلاسهـا

ومنها في المدح:

أما نزار فكلها لكـريمة لكن أكرمها بنو مرداسها

وقال:

إذا المرء لم يرض ما أمكنه ولم يأت من أمره أحسنـه
فدعه فقد سـاء تـدبـيره سيضحك يوماً ويبكي سنه

وقال:

الدهر خداعة خلـوب وصفوه بالقذى مشوب
فلا تغرنك اللـيالـي فبرقها خلب كـذوب
وأكثر الناس فاعتزلهم قوالب مالها قـلـوب

الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد

ابن عثمان بن جعفرٍ، أبو عبد الله الكلابي المعروف بابن الزلازل من بني جعفر بن كلابٍ اللغوي الأديب الكاتب الشاعر. أخذ عن أبي القاسم الزجاجي وأبي بكرٍ الخرائطي وغيرهما. توفي سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمائةٍ.

وله مصنفات منها: كتاب أنواع الأسجاع، ابتدأ بتأليفه في دمشق سنة ثلاثٍ وأربعين وثلاثمائةٍ، وروى فيه عن شيوخه وغيرهم، وهو كتاب ممتع أجاد وضعه وتأليفه.

ومن شعر ابن أبي الزلازل:

لقد عرفتك الحادثات نـفـوسـهـا وقد أدبت إن كان ينفـعـك الأدب
ولو طلب الإنسان من صرف دهره دوام الذي يخشى لأعياه ما طلـب

وقال:

فتىً لرغيفه قرط وإكليلان من خزرٍ

وشـنـف وشـزر
إذا كسر الرغيف بكى بكا الخنساء إذ فجعت علـيه بصخر

وقال مهنئاً بعض الأمراء بالعيد:

عيد يمـنٍ مـؤكـد بـأمـان من تصاريف طارق الحدثـان
جعل الله عـيد عـامـك هـذا خير عيدٍ وذاك خير التهانـي
ثم لا زلت من زمانك في صف وٍ ومن شرب صرفه فٍي أمان
آخذاً ذمةً من الـدهـر لا تـخ فر معقودةً بأوفـى ضـمـان
نافذ الأمر عالي القدر محمـو د المساعي مؤيد السلـطـان

وقال:

ثمانية قام الـوجـود بـهـا فـهـل ترى من محيصٍ للورى عن ثمانيه?
سرور وحزن وعسر ويسر ثم واجتـمـاع وفـرقة سـقـم وعـافـيه
بهن انقـضـت أعـمـار أولاد آدمٍ فهل من رأى أحوالهم متـسـاويه?

الحسين بن عبد السلام

أبو عبد الله المصري المعروف بالجمل، الشاعر المشهور، كان شاعراً مفلقاً مدح الخلفاء والأمراء. توفي في ربيع الآخر سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين. قدم دمشق وافداً على أحمد بن المدبر، وكان أحمد يقصده الشعراء، فمن مدحه بشعرٍ جيدٍ أجزل صلته، ومن مدحه بشعرٍ رديءٍ وجه به مع خادمٍ له إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلي مائة ركعةٍ ثم يصرفه. فدخل عليه الجمل وأنشده:

أردنا في أبي حـسـنٍ مـديحـاً كما بالمدح تنـتـجـع الـولاة
فقالوا أكرم الـثـقـلـين طـراً ومن جدواه دجـلة والـفـرات
وقالوا يقبل الشـعـراء لـكـن أجل صلات مادحه الـصـلاة

فقلت لهم وما يغنـي عـيالـي صلاتي? إنما الشأن الـزكـاة
فيأمر لي بكسر الصاد مـنـهـا فتصبح لي الصلاة هي الصلات

وروى الجمل عن بشر بن بكرٍ عن الأوزاعي أنه قال: كان قوم كسالى ينامون تحت شجرة كمثرى يقولون: إن سقط في أفواهنا شيء أكلنا وإلا فلا، فسقطت كمثراة إلى جانب أحدهم، فقال له الذي يليه: ضعها في فمي. قال: لو استطعت أن أضعها في فمك وضعتها في فمي.
قال ابن يونس في تاريخ مصر: كان الجمل شرهاً في الطعام دنئ النفس وسخ الثوب هجاءً، ولد قبل سنة سبعين ومائةٍ، وعلت سنه، ومدح المأمون بمصر لما ورد إليها لجوب البيمارستان، ومدح الأمراء مثل عبد الله بن طاهرٍ وغيرهم، وتوفي في ربيعٍ الآخر سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين، ومن شعر الجمل أيضاً:

إذا أظمأتك أكف اللـئام كفتك القناعة شبعـاً وريا
فكن رجلاً رجله في الثرى وهامة همته في الـثـريا
أبـيا لـنـائل ذي ثـروةٍ تراه بمـا فـي يديه أبـيا
فإن إراقة مـاء الـحــيا ة دون إراقة ماء المحـيا

الحسين بن عقيل بن محمد

ابن عبد المنعمبن هاشم البزار الواسطي القرشي. كان أديباً شاعراً وله عناية بالحديث، روى عنه الخطيب البغدادي، والحافظ أبو القاسم بن عساكر. توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائةٍ، ومن شعره:

لقد كمل الرحمن شخصك في الـورى فلا شاب شيئاً من كمالك بالنـقـص
ومن جمع الآفاق في الـعـين قـادر على جمع أشتات الفضائل في شخص

وقال:

ولما حدا البين المشت بشملنـا ولم يبق إلا أن تثـار الأيانـق

ولم نستطع عند الوداع تصبـراً وقد غالنا دمع عن الوجد ناطق
وقفنا لوديعٍ فكادت نفـوسـنـا لأجسادنا قبل الوداع تـفـارق
فباكٍ لما يلقاه من فقـد إلـفـه وشاكٍ له قلب به الوجد عالق

وقال:

أقلي النهار إذا أضاء صباحـه وأظل أنتنظر الظلام الدامسـا
فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكاً والليل يرثي لي فيدبر عابسـا

وقال:

علي لام العذار رأيت خالاً كنقطة عنبرٍ بالمسك أفرط
فقلت لصاحبي هذا عجيب متى قالوا بأن اللام تنقط?

الحسين بن علي بن أحمد

ابن عبد الواحد بن بكر بن شبيبٍ النصيبي النديم، نديم المستنجد بالله، ولد سنة خمسمائةٍ، وتوفي سنة ثمانين وخمسمائةٍ، كان أديباً كاتباً شاعراً له اليد الطولى في حل الألغاز العويصة، تفاوض أبو منصورٍ محمد بن سليمان بن قتلمش وأبو غالب بن الحصين في سرعة خاطر ابن شبيبٍ وتقدمه في حل الألغاز، فعمل ابن قتلمش أبياتاً على صورة الألغاز، ولم يلغز فيها بشيءٍ وأسلاها إلى ابن شبيبٍ يمتحنانه بها وهي:

وما شيءٍ له في الرأس رجل وموضع وجهه منه قفـاه?
إذا أغمضت عينك أبصرتـه وإن فتحت عينـك لا تـراه

ونظم أيضاً:

وجـارٍ وهـو تـيار بلا لـحـمٍ ولا ريشٍ بطـبـعٍ بـاردٍ جـداً ضعيف العقل خوار وهو في الرمز طيار ولكـن كـلـه نـار

فكتب ابن شبيبٍ على الأول: هو طيف الخيال، وكتب على الثاني: هو الزئبق. فجاء أبو غالبٍ وأبو منصورٍ إليه وقالا: هب اللغز الأول طيف الخيال، والبيت الثاني يساعدك على ما قلت، فكيف تعمل بالبيت الأول? فقال: لأن المنام يفسر بالعكس، لأن من بكى يفسر بكاؤه بالضحك والسرور، ومن مات يفسر موته بطول العمر.
وأما اللغز الثاني: فغن أصحاب صناعة الكيمياء يرمزون للزئبق بالطيار والفرار والآبق وما أشبه ذلك، لأنه يناسب صفته، وأما برده فظاهر، ولإفراط برده ثقل جسمه

وجرمه، وكله نار لسرعة حركته وتشكله في افتراقه والتئامه، وعلى كل حالٍ ففي ذلك تسامح يجوز في مثل هذه الصور الباطلة إذا طبقت على الحقيقة.
ودخل ابن شبيبٍ يوماً على الخليفة المستنجد بالله فقال الخليفة: أإبن شبيبٍ؟ فقال: عبدك يا أمير المؤمنين، فأعجبه هذا التصحيف منه. ومن شعر ابن شبيبٍ في المستنجد:

أنت الإمام الذي يحكي بسيرتـه ... من ناب بعد رسول الله أو خلفا
أصبحت لب بني العباس كلهـم ... إن عددت بحروف الجمل الخلفا

فإن جمل حروف لب اثنان وثلاثون، والمستنجد هو الثاني والثلاثون من الخلفاء. ومن شعره أيضاً:

ومحترسٍ من نفسه خـوف زلةٍ ... تكون عليه حجةً هي مـا هـيا
يصونٍ عن الفحشاء نفساً كـريمةً ... أبت شرفاً إلا العلا والمعـالـيا
صبور على ريب الزمان وصرفه ... كتوم لأسرار الـفـؤاد مـداريا
له همة تعلو علـى كـل هـمةٍ ... كما قد علا البدر النجوم الدراريا

وقال:

أغصان وردٍ زينت درر الندى ... أجيادها بمخانـقٍ وعـقـود
فتوهجت كمسارجٍ وتأرجـت ... كنوافجٍ وتدبجـت كـبـرود
وتبلجت ككواكبٍ وتبرجـت ... ككواعبٍ وتضرجت كخدود

وقال:

تبوح بسرك ضـيقـاً بـه ... وتبغي لسرك من يكـتـم
وكتمانك السر ممن تخاف ... ومن لاتخاف هو الأحزم
وإن ذاع سرك من صاحبٍ ... فأنت وإن لمـتـه ألـوم

الحسين بن علي بن محمد

ابن مموية أبو عبد الله المعروف بابن قم الزبيدي اليمني، ولد سنة ثلاثين وخمسمائةٍ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائةٍ، كان أديباً كاتباً شاعراً من أفاضل اليمن المبرزين في النظم والنثر والكتابة، ومن شعره:

أأحبابنا من بالقطيعة أغراكم ... وعن مستهام في المحبة ألهاكم
صددتم وأنتم لغير التجني والصدود ... تعلمون بأننا وددناكم
كشفت لكم سري فصرت بذاك السر ... على ثقةٍ بكم من بعض أسراكم
جعلناكم للنائبات فحين طلبناكم لها ما ذخيرة ... وجدناكم
قطعتم وصلناكم عققتم بررناكم أضعتم ... نسيتم ذكرناكم حفظناكم
وفي النفس سر لا ولو تلفت وجداً إلى ... تبوح بذكره يوم لقياكم
فإن تجمع الأيام بيني غفرت خطاياكم ... وبينكم لحرمة رؤياكم

وقال:

خير ما ورث الرجال أدب صالح وحسن ... بنيهم ثناه
ذاك خير من الدنانير راق في يوم شدةٍ ... والأو ورخاء
تلك تفنى والدين صالح لا يفنيان حتى ... والأدب الص اللقاء

ولابن قم رسالة كتب بها إلى أبي حمير سبأ بن أبي السعود أحمد بن المظفر بن علي الصليحي اليماني بعد انفصاله عن اليمن، ورواها الحافظ أبو طاهرٍ السلفي سنة ثمانٍ وستين وخمسمائةٍ وهي: كتب عبد حضرة السلطان الأجل مولاي ربيع المجدبين، وقريع المتأدبين، جلوة الملتبس، وجذوة المقتبس، شهاب المجد الثاقب، ونقيب ذوي الرشد والمناقب، - أطال الله بقاءه، وأدام علوه و ارتقاءه، ما قدمت العارية للمستعير، ولزمت الياء

للتصغير، - وجعل رتبته في الأولية عالية المقام كحرف الاستفهام، وكالمبتدأ إن تأخر في البنية فإنه مقدم في النية، ولا زالت حضرته من الحادثات حمىً، وللوفود مزدحماً وملتزماً، حتى يكون في العلا بمنزلة حرف الاستعلا وهو من حروف اللين في حصونٍ، وما جاورها من الإمالة مصون، ولا زال عدوه كالألف حالها يختلف، تسقط في صلة الكلام ولاسيما مع اللام، فإنه - أدام الله علوه - أحسن من إلى ابتداءً، ونشر علي من فضله رداءً، أراد أن يخفى وكيف يخفى؟ لأن من شرف الإحسان، سقوط ذكره عن اللسان، كالمفعول رفع رفع الفاعل الكامل، لما حذف من الكلام ذكر الفاعل، يهدي إليه سلاماً ما الروض ضاحكه النوض، غرس وحرس وسقي ووقي وغيب وصيب، فأخذ من كل نوء بنصيبٍ، زهاه الزهر، وسقاه النهر، جاور الأضا، فحسن وأضا، رتع فيه الشحرور ومرح العصفور، فنظر إلى أقاحيه تفتر في نواحيه وإلى البهار، يضاحك شمس النهار، فجعل فجعل يلثم من ورده خدوداً، ويضم من أغصانه قدوداً، ويقتبس النار من الجلنار ويلتمس العقيق من الشقيق، فتثنى ثملاً، وغنى خفيفاً ورملاً، بأطيب من نفحته المسكية، وأعطر من رائحته الذكية، وإني وإن أهديته في كل أوانٍ، من أداء ما يجب غير وانٍ، أعد نفسي السكيت في السبق لتقصيري لما علَي من الحق، أثرت فعثرت، وجهدت فما سعدت، فأنا بحمد الله بخنوعٍ وقنوعٍ، وجنابٍ عن غين العين ممنوعٍ، فارقت المثول ولا أزال، ولزمت الخمول والاعتزال، سعيي سعي الجاهد، وعيشي عيش الزاهد، ببلدٍ الأديب فيه غريب، والأريب مريب، إن تكلم استثقل، وإن سكت استقلل، منزله كبيوت العناكب، ومعيشته كعجالة الراكب، فهو كما قال أبو تمامٍ:

أرض الفلاحة لو أتاها جـرول أعني الحطيئة لاغتدى حراثـا

ما جئتها من أي بابٍ جـئتـهـا إلا حسبت بيوتـهـا أجـداثـا

تصدا بها الأفهام بعد صقالـهـا وترد ذكران العقـول إنـاثـا
أرض خلعت اللهو خلعي خاتمي فيها وطلقت السـرور ثـلاثـا

وأما حال عبده بعد فراقه في الجلد. فما حال أم تسعةٍ من الولد ذكورٍ، كأنهم عقبان وصقور، كنوا في وكور، اخترم منهم ثمانية، وهي على التاسع حانية، نادى النذير: العربان في البادية للعادية يا للعادية، فلما سمعت الداعي، ورأت الخيل وهي سراع، جعلت تنادي ولدها الأناة الأناة، وهو ينادي العياة العياة:

بطل كأن ثيابه في سـرحةٍ يحذى نعال السبت ليس بتوأم

فحين رأته يختال في غصونٍ الزرد المصون. أنشأت تقول:

نشدت أضبطاً يمـيل لباسه من نـسـج دا بين طرفاء وغـيل ود كضحضاح يسيل

فعرض له في البادية أسد هصور. كأن ذرعه مسد مضفور:

فتطاعنا وتوافقت خيلاهما وكلاهما بطل اللقاء مقنع

فلما سمعت صياح الرعيل، برزت من الخدر بصبرٍ قد عيل. فسألت عن الواحد. فقيل لها لحده اللاحد.

فكرت تبتغيه فصـادفـتـه على دمه ومصرعه السباعا
عبثن به فلـم يتـركـن إلا أديماً قد تمزق أو كراعـا

بأشدٍ من عبدك تأسفاً. ولا أعظم كمداً ولا تلهفاً، وإنه ليعنف نفسه دائماً، ويقول لها لائماً، لو فطنت لقطنت. ولو عقلت لما انتقلت. ولو قنعت لرجعت وما هجعت.

يقيم الرجال الموسرون بأرضهم وترمي النوى بالمقترين المراميا
وما تركوا أوطانهم عن مـلالةٍ ولكن حذاراً من شملتي الأعاديا

أيها السيد: أمن العدل والإنصاف. ومحاسن الشيم والأوصاف. إكرام المهان. وإذلال جواد الرهان يشبع في ساجوره كلب الزبل ويسغب في خيسه أبو الشبل:

إذا حل ذو نقصٍ مكانة فاضلٍ وأصبح رب الجاه غير وجيه
فإن حياة الحر غير شـهـيةٍ إليه وطعم الموت غير كريه

أقول لنفسي الدنية هبي طال نومك، واستيقظي لا عز قومك، أرضيت بالعطاء المنزور؟ وقنعت بالمواعيد الزور، يقظةً فإن الجد قد هجع، ونجعةً فمن أجدب انتجع. أعجزت في الأدباء عن خلق الحرباء؟ ولي لسان كالرشاء. تنسم أعلى السماء. ناط همته بالشمس، مع نعدها عن اللمس، أنف من ضيق الوجار، ففرخ في الأشجار، فهو كالخطيب على الغصن الرطيب.

وإن صريح الرأي إذا بلغته الشمس أن
والحزم لمرئٍ يتحولا

وقد أصحب عبده هذه الأسطر شعراً يقصر فيه عن واجب الحمد، وإن بنيت قافيته على المد، وما يعد نفسه إلا كمهدي جلد السبتي الأسمر إلى الديباج الأحمر. أين ذو الحباب من ثغور الأحباب؟. وأين السراب من الشراب؟. والركي البكي من الواد ذي المواد. أتطلب الفصاحة من الغنم؟ والصباحة من المغتم؟ غلط من رأى الآل في القي فشبهه بهلهال الدبيقي. هيهات مناسج الرياط. تسبق تنيس ودمياط. ولا أقول كما قال القائل:

من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقد الكرب

بل أضع نفسي في أقل المواضع، وأقول لمولاي قول الخاضع:

فأسبل عليها ستر معروفك الذي سترت به قدماً مخازي عوراتي

وها هي هذه:

فيك برحت بالعذول إباء وعصيت اللوام والنصحاء
فانثنى العاذلون أخيب مني يوم أزمعتم الرحيل رخاء
من مجيري من فاتر اللحظ ألمي جمع النار خده والماء؟
فيه لليل والنهار صفات فلهذا سر القلوب وساء
لازم شيمة الخلاف فإن لذ ت قسا أو دنوت منه تناءى
يا غريب الصفات حق لمن كا ن غريباً أن يرحم الغرباء
من صدودٍ ولوعتي ه وإشماته بي

وتـجـنـي الأعـداء
وإذا ما كتمت ما بـي دٍ أذاعته مقـلـتـاي بـكـاء
مـن وج
كعطايا سبأ بن أحمـد ها فترداد شـهـرةً ونـمـاء
يخـفـي
نرتجيه بهذه الـمـدح د وإن لم نمدحه جـاد ابـتـداء
الـجـو
ألمعي يكـاد ينـبـيك كان في الغيب فطـنةً وذكـاء
عـمـا
وإذا أخلف السـمـاء أخلفت راحتاه ذاك الـسـمـاء
بـأرضٍ
بندىً يخجل الغيوث وجدىً ينهل الرماح انـهـمـالاً الظـمـاء
ما أبالي إذ أحسن أحسن الدهر للـورى الدهـر فـيه أم أسـاء
أيها المجدب الضريك فعطـاياه تـسـبـق انتجـعـه الأنـواء
تلق منه المهذب ب الكريم السـمـيذع الماجد الـنـد الأبـاء
راحة في الندى تنيل وحسام في الروع نـضـاراً يهمي دمـاء
يا أبا حمـيرٍ دعـوتـك ر فكنت امرأً يجيب لـلـده الـدعـاء
فأبى البخل أن يكـون وأبى الجـود أن يكـون أمـامـاً وراء
أنا أشكو إلـيك جـور دأبـه أن يعـانـد زمـانٍ الأدبـــاء
أهملتني صـروفـه ألف الوصل ألغـيت وكـأنـي إلـغـاء
إن سطا أرهب جام أو جاد بخل الضراغم في الآ الـكـرمـاء

شيم مـن أبـيه أحـمـد فك عنها تتبـعـاً لا ين واقـتـفـاء
قد تعاطى في المجد عجزوا واحتملت فيه شأوك قوم العـنـاء
شرفاً شامخاً ومجـداً حمـيرياً وغـيرةً مـنـيفـاً قـعـسـاء
مال عنـي بـمـا أؤمـل كلما قلت سوف فـيه يأسـو أسـاء
رهن بيتٍ لو استقر به بوع لم يرضه لـه الـبـر نـافـقـاء
نفضتني نفض المرجم خلتني في فم حـتـى الـزامـن نـداء
منعتني من التصرف تعلل التسع صرفها مـنـع ال الأسـمـاء
يا أبا حمـيرٍ وحـرمة نك عندي ما كان إحـسـا حـبـي رياء
ما ظننت الزمان ،ك إلـى أن أفـارق يبعدنـي عـن الأحـياء
غير أني فدتك نفسي ء وإن قلت أن تـكـون من السـو فـداء
ضاع سعيي وخبت ديك ومن يبتغي لك خابت أعـا الأسـواء
واحتملت الزمان إبعاد والذل والعنا والنقص وال والجـفـاء
وتجملت واضطربت قى على عودي فمـا أب الزمان لحـاء
أعلى هذه المصـيبة لا ولو كنت صخرةً صبـر صمـاء?
ولو أني لم أعتمد دون لتـأسـيت أن أمـوت غـيري وفـاء
غير أن التصريح ليس عند من كان يفـهـم

بخـافٍ الإيمـاء
غير أني متنٍ عليك ت على ما لقيت إلا
ومـا لـم القضـاء
وسيأتيك في البعاد ب مديح يستوقف
وفي القـر الشـعـراء
فبشكرٍ رحلت عنـك ك به إن قضى الإله
وألـقـا لـقـاء
ليس يبقى في الدهر فاكتسب ما استطعت
غير ثنـاءٍ ذاك الثناء

وقال:

تشكي المحبون تحملت ما يلقون من
الصبابة ليتـنـي بينهم وحدي
فكانت لنفسي لذة فلم يدرها قبلي محب
الحب كلـهـا ولا بعدي

وقال:

هدايا الناس بعضهم تولد في قلوبهـم
لبـعـضٍ الـمـوده
وتزرع في النفوس لصرف الدهر
هوىً وحباً والحدثان عده
وتصطاد القلوب بلا وتسعد حظ صاحبهـا
شـراكٍ وجـده

الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

ابن محمد نب الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله ابن الوزير سليمان بن وهبٍ الحارثي البكري الدباس المعروف بالبارع البغدادي، كان لغوياً نحوياً مقرئاً قرأ القرآن على أبي علي بن البناء وغيره، وأقرأ خلقاً كثيراً. وسمع القاضي أبي يعلى الموصلي وغيره وروى عنه الحافظ أبو القاسم بن عساكر، وكان حسن المعرفة بصنوف الآداب فاضلاً، وله مصنفات حسان في القراءات وغيرها، وله ديوان شعرٍ جيدٍ. وهو من بيت الوزارة، فإن جده القاسم بن عبيد اللهٍ كان وزير المعتضد والمكتفي بعده، وعبيد الله بن القاسم كان وزير المعتضد أيضاً قبل ابنه القاسم. وكان بين البارع وابن الهبارية الأديب الشاعر مداعبات، فإنهما كانا رفيقين منذ نشأا، وأضر البارع في آخر حياته، وسمع منه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي، وأبو عبد الله الحسيني بن علي بن مهجلٍ الضرير الباقدرائي، وقرأ عليه بالروايات أبو جعفرٍ عبد الله بن أحمد بن جعفرٍ الواسطي المقرئ الضرير وغيره. وكان مولده سنة ثلاثٍ وأربعين وأربعمائةٍ ببغداد، وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة أربعٍ وعشرين وخمسمائةٍ، ومن شعره:

لم لا أهيم إلى الرياض وأظل منها تحت ظلٍ

وحسنها ضافي?
والزهر حياني بثغـرٍ باسـمٍ والباء وافاني بقلبٍ صـافـي

وقال:

يوم من الزمهرير مقـرور عليه ثوب الضباب مزرور
كأنما حـشـو جـوه إبـر قـوارير وأرضه فرشهـا
وشمسه حـرة مـخـدرة ليس لها من ضبابه نـور

وحج البارع بن الدباس، فلما رجع من الحج ذهب إليه الشريف أبو يعلى بن الهبارية مرةً فلم يجده، فكتب إليه بقصيدةٍ طويلةٍ يعاتبه بها مطلعها:

يابن ودي وأين مني ابن ودي غيرت طبعه الرياسة بعدي?

وفيها مداعبة بلغت حد السخف، فأجابه البارع بقصيدةٍ طويلةٍ أيضاً مطلعها:

وصلت وقعة الشريف أبي يع لى فحلت محل لقياه عنـدي
فتلقيتهـا بـأهـلاً وسـهـلاً ثم ألصقتها بعينـي وخـدي
وفضضت الختام عنها فما ظن نك بالصاب إذ يشاب بشهـد
بين حلوٍ من العـتـاب ومـرٍ هو أولى به وهـزلٍ وجـد
وتجنى علي من غـير جـرمٍ بملامٍ يكاد يحـرق جـلـدي
يدعي أنني احتجبت وقـد زا ر مراراً حاشاه من قبـح رد
دعك من ذمك الرياسة والحج ج وقل لي بغير حلٍ وعقـد
فبماذا علمت بـالـلـه أنـي قد تنكرت أو تغير عهـدي?

من تراني أعـامـل أم وزير لأميرٍ أم قائد جيش جـنـدٍ?
أنا ذاك الخل الخليع الـذي تـع رف أرضي ولو بخبـزٍ ودردي
وإذا صح لـي نـديم فـذاك ال يوم عيدي وصاحب الدست عبدي
أتراني لو كنت في النار مع هـا مان أنساك أو بـجـنة خـلـد?
أو لو أتى عصبت بالتاج أسـلـو ك ولو كنت غائباً عـن رشـدي
أنا أضعاف ما عهدت على العـه د وإن كنت لا تـكـافـي بـودِ

وفي القصيدة أبيات تتضمن سخفاً فاحشاً ضربنا عن ذكرها صفحاً. ومنها:

أم لأني قنعت من سائر الـنـا س بفردٍ بين الأكـارم فـرد
صان وجهي عن اللـئام وأولا ني جميلاً منه إلى غير حـد
أم لأني قنعت حتى لقد صـر ت بقنعي نسيج دهري ووحدي
أم لأني أنفت مع ذا من الكـد ية أين الكرام قل لي لأكدي?

وقال:

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ولم ينهها تاقت إلى كـل بـاطـل
وساقت إليه الإثم والعـار بـالـذي دعته إليه مـن حـلاوة عـاجـل

وقال أيضاً:

أفنيت ماء الوجه من طول ما أنهي إلـيه حـالـي الـذي أسأل من لا ماء في وجهـه يا ليتني مت ولـم أنـهـه

فلم ينـلـنـي أبـداً ولم أكد أسلم من رفـده جـبـهـه
والدهر إذ مات قد مد أيديه إلـى مـمـاريده بـلـهـه

وقال:

تنازعني النفس أعلى مقامٍ ولست من العجز لا أنشط
ولكن بقدر علو المـكـان يكون هبوط الذي يسقـط

الحسين بن محمد بن جعفر

ابن محمد بن الحسين الرافقي المعروف بالخالع، أحد كبار النحاة، كان إماماً في النحو واللغة والأدب، وله شعر. توفي سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائةٍ، أخذ عن أبي عليٍ الفارسي وأبي الحسن السيرافي وغيرهما. ويقال إنه من ذرية معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - وله من التصانيف: كتاب الأودية والجبال والرمال، وكتاب الأمثال، وكتاب تخيلات العرب، وشرح شعر أبي تمامٍ، وكتاب صناعة الشعر وغير ذلك. ومن شعره:

رأيت العقل لم يكن انتهاباً ولم يقسم على قدر السنينا
فلو أن السنين تقسمـتـه خوى الآباء أنصبة البنينا

وقال:

خطرت فقلت لها ماذا عليك من السلا? مقالة مغرمٍ فسلمي
قالت بمن تعنى? من سقم جسمك قلت فحبك بـين بالمتكلم
فتبسمت فبكيت قالت فلعل مثل هواك لا تـرع بالمتبـسـم
قلت اتفقنا في الهوى أو موعداً قبل الزيارة فزيارةً قدمي
فتضاحكت عجباً لو لم أدعك تنام بي لم وقالت يا فتىً تحلـم

وقال:

أما لظلام ليلي من صـبـاحٍ أما للنجم فـيه مـن بـراح

كأن الأفق سد فليس يرجى به نهج إلى كل النـواحـي
كأن الشمس قد مسخت نجوماً تسير مسـير روادٍ طـلاح
كأن الصبح مهجور طـريد كأن الليل مات صريع راح
كأن بنات نعشٍ متن حـزنـاً كأن النسر مكسور الجنـاح

وقال:

لا تعبسن بوجه عـافٍ سـائلٍ خير المواهب أن ترى مسؤولاً
لا تجبهن بالرد وجه مـؤمـلٍ فبقاء عزك أن ترى مأمـولا
يلقى الكريم فيستدل بـبـشـره ويرى العبوس على اللئيم دليلا
واعلم بأنك لا محـالة صـائر خبراٍ فكن خبراً يروق جمـيلا

الحسين بن محمد

ابن الحسين بن حيٍ التجيبي القرطبي. كان أديباً فاضلاً عالماً بالهندسة والهيئة، كلفاً بصناعة التعديل، أخذ علم العدد والهندسة والهيئة عن أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمدٍ المعروف بابن برغوثٍ الرياضي الفلكي المتوفى سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائةٍ. ولحق بمصر بعد أن نالته بالأندلس وفي طريقه بالبحر محن شديدة، ثم رحل من القاهرة إلى اليمن واتصل بأميرها الصليحي القائم بالدعوة للمنتصر بالله معد بن الظاهر عليٍ، فحظي عنده وبعثه رسولاً إلى أمير المؤمنين القائم بأمر الله الخليفة العباسي في هيئةٍ فخمةٍ، فنال إقبالاً ودنيا عريضةً. وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد إليها سنة ستٍ وخمسين وأربعمائةٍ. وله من التصانيف: زيج مختصر على طريقة السند هند وغير ذلك. ومن شعره:

تأمل. صورة العـدد فمن ينظر إليه هدى

كما الأعداد راجـعة وإن كثرت إلى الأحد
كذاك الخلق مرجعهم لربٍ واحدٍ صـمـد

وقال:

تحفظ من لسانك فهو عضو أشد عليك من وقع السنان
فلا والله ما في الخلق خلق أحق بطول سجنٍ من لسان

وقال:

ورأيت السماء كالبحـر إلا أن ما سطه من الدر طافي
فيه ما يملأ العيون كـبـير وصغير ما بين ذلك صافي

وقال:

ودعتـه حـيث لا تـودعـه وحي ولكنها تسـير مـعـه
ثم تولى وفـي الـعـيون لـه ضيق مجالٍ وفي القلوب سعه

وقال:

إذا ما كثرت عى صاحب وقد كان يدنيك من نفسه
فلا بد من مللٍ واقـعٍ يغير ما كان من أنسـه

الحسين بن محمد

أبو عليٍ السهواجي أديب شاعر لبيب مشهوروسهواجمن قرى مصر، صنف كتاب القوافي، وتوفي بمصر سنة أربعمائةٍ - رحمه الله تعالى -، ومن شعره:

وقد كنت أخشى من الحب أن أخشاه
الحب لو كان نافعي قبل وقـوعـه
كما حذر الإنسان من نوم عـينـيه ونام ولم يشعر أوان هـجـوعـه

وقال:

كرام المساعي في اكتساب محامـدٍ وأهدى إلى طرق المعالي من القطا
وأبوابهم معمـورة بـعـفـاتـهـم وأيديهم لا تستريح مـن الـعـطـا

ومن شعره أيضاً:

وهتوفٍ أيكيةٍ ذات شجـوٍ سجعت ثم رجعت ترجيعا
ذكرت إلفها فحنت إلـيه فبكينا من الفراق جميعـا

ومنه أيضاً:

قوم كـرام إذا سـلـوا سـيوفـهـم في الروع لم يغمدوها في سوى المهج
إذا دجا الخطب أو ضاقت مـذاهـبـه وجدت عندهم ما شـئت مـن فـرج

وقال:

شخوص الفتى عن منزل الضيم واجب وإن كان فـيه أهـلـه والأقـارب
وللحر أهل إن نـأى عـنـه أهـلـه وجانب عزٍ إن نأى عـنـه جـانـب
ومن يرض دار الضيم داراً لنفـسـه فذلك في دعوى الـتـوكـل كـاذب

وقال:

توخ من الطرق أوساطـهـا وعد عن الجانب المشتـبـه
وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند سمـاع الـقـبـيح شريك لقائلـه فـانـتـبـه

الحسين بن محمدٍ أبو الفرج

النجوي المعروف بالمستور، كان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً. توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائةٍ، ومن شعره:

أمسى يحن لوجهه وغدا يلين للحنه قمر الدجا الجلـمـود
فإذا بداف كأنما هو يوسـف وإذا شـدا فـكـأنـه داود

وقال:

فكأنما الشمس والبدر يجنح للغروب المنيرة إذ بـدت وما غرب

متحاربان لذا مجـن من فضةٍ ولذا مجن
صـاغـه ممن ذهب

وله مزدوجة أنشدها بعض الدمشقيين سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائةٍ:

الحب بـحـر زاخـر راكبـه مـخـاطـر
جنوده الـمـحـاجـر والحدق السـواحـر
ركبته عـلـى غـرر وخطرٍ على خـطـر
في واضحٍ يحكي القمر وكان حتفي في النظر
حلفـتـه لـمـا بـدا كغصنٍ غـب نـدى
ريان بالحسن ارتـدى وبالـبـهـا تـفـردا
بحق بيت المـقـدس والبلـد الـمـقـدس
وبالتـي لـم تـدنـس لا تك منك مؤيسـي
بحـق قـدس مـريم وبطرس المعـظـم
بعـادلٍ لـم يظـلـم رق لصبٍ مـغـرم
بالدير بـالـرهـبـان بحرمة الـقـربـان
ببولصٍ ذي الـشـان كن حسن الإحـسـان
بالطور بـالـزبـور بساكـن الـقـبـور
بشاهـدٍ مـشـهـور إعطف على المهجور
بحـرمة الـمـسـيح وبالفـتـى الـذبـيح
بالفصح بالتـسـبـيح أبق علـي روحـي
بلـيلة الـمـــيلاد وحـرمة الأعـــياد
ولابـسـي الـسـواد إجعل رضـاك زادي

وهي طويلة اكتفينا منها بهذا المقدار. ومن شعره أيضاً:

كانت بلهنية الشبـيبة فصحوت واستبدلت
سـكـرة سيرة مجمل
وقعدت أنتظر الفناء عرف المجل فيات
كـراكـبٍ دون المنزل

الحسين بن مطير بن مكملٍ

الأسدي مولى بني أسد بن خزيمة، وكانً جده مكمل عبداً فعتق وقيل كوتب. وابن مطيرٍ من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، فصيح متقدم في الرجز والقصيد يعد من فحول المحدثين، يشبه كلامه كلام الأعراب وأهل البادية، وفد على الأمير معن بن زائدة الشيباني لما ولي اليمن، فلما دخل عليه أنشده:

أتيتك إذ لم يبق غيرك جـابـر ولا واهب يعطي اللها والرغائبا

فقال له: يا أخا بني ليس أسدٍ هذا بمدحٍ، إنما المدح قول نهار بن توسعة في مسمع بن مالكٍ:

قلدته عرى الأمـور نـزار قبل أن يهلك السراة البحور

فغدا إليه بأرجوزةٍ يمدحه بها فاستحسنها وأجزل صلته. وحدث جعفر بن منصورٍ قال: حدثني أبي قال: حج المهدي فنزل زبالة فدخل الحسين بن مطيرٍ الأسدي عليه فقال:

أضحت يمينك مـن جـودٍ مـصـورةً لا بل يمينك منهـا صـورة الـجـود
من حسن وجهك تضحي الأرض مشرقةً ومن بنانك يجري الماء فـي الـعـود

فقال المهدي كذبت، قال ولم يا امير المؤمنين؟ قال: هل تركت في شعرك موضعاً لأحدٍ بعد قولك في معنٍ بن زائدة:

ألما على مـعـنٍ وقـولا لـقـبـره سقتك الغوادي مربعاً ثـم مـربـعـا
فيا قبر مـعـنٍ أنـت أول حـفـرةٍ من الأرض خطت للمكارم وضجعـا
ويا قبر معـنٍ كـيف واريت جـوده وقد كان من البر والبحر متـرعـا?
بلى قد وسعت الجود والجـود مـيت ولو كان حياً ضقت حتى تـصـدعـا
ولما مضى معن مضى وأصبح عرنين الجود وانقضى المـكـارم أجـدعـا
وما كان إلا الجود صـورة وجـهـه فعاش ربـيعـاً ثـم ولـى وودعـا
وكنت لدار الجود يا معـن عـامـراً وقد أصبحت قفراً من الجود بلقـعـا
فتى عيش في معروفه بعـد مـوتـه كما كان بعد السيل مجراه مرتـعـا
تمنى أناس شـأوه مـن ضـلالـهـم فأضحوا على الأذّقان صرعى وظلما
تعز أبا العـبـاس عـنـه جزاؤك من معنٍ بأن

ولا يكـن تتضعـضـعـا
أبى ذكر معـنٍ أن وإن كان قد لاقى
يمـيت فـعـالـه حماماً ومصرعهـا
فما مات من كنت له مثل ما أبقى أبوك
ابنـه لا ولا الـذي ومـا سـعـى

فقال: يا أمير المؤمنين إنما معن حسنة من حسناتك، وفعلة من فعلاتك، فأمر لع بألف دينارٍ ثم قال: سل حاجتك فقال:

بيضاء تسحب من وتغيب فيه وهو جعد
قيامٍ فرعها أسحم
فكأنها منه نهـار وكأنه ليل عليها
مـشـرق مـظـلـم

قال: خذ بيدها لجاريةٍ كانت على رأسه فأولدها مطير بن الحسين بن مطيرٍ.

وقال الرياشي: حدثني أبو العالية عن أبي عمران المخزومي قال: أتيت مع أبي والياً كان بالمدينة من قريشٍ، وعنده ابن مطيرٍ، وإذا بمطرٍ جودٍ، فقال له الوالي: صف لي هذا المطر، قال: دعني أشرف عليه، فأشرف عليه ثم نزل فقال:

كثرت لكثرة قطره فإذا تحلب فاضت
أطباؤه الأطباء
وله رباب هيدب قبل التبعق ديمة
لدفيفـه وطفـاء
وكأن ريقه ولمـا ودق السماء عجاجة
يحـتـفـل كـدراء
وكأن بارقه حريق ريح علـيه عـرفـج
تلـتـقـي وألاء
مستضحك بلوامعٍ بمدامعٍ لم تمرها
مستبصـر الأقـذاء
فله بلا حزنٍ ولا ضحك يؤلف بيتـه
بـمـسـرةٍ وبـكـاء
حيران متبع صبـاه وجنوبه كنـف لـه
تـقـوده ووعـاء
غدق ينتج في الأباطح تلد السيول وما لهـا
فرقـاً أسـلاء
غر محجلة دوالج حمل اللقاح وكلهـا
ضمـنـت عـذراء

سحم فهن إذا كظمن سواجـم سود وهن إذا ضحكن وضاء
لو كان من لجج السواحل ماؤه لم يبق في لجج السواحل ماء

وقال ابن دريدٍ: أنشدنا أبو حاتمٍ السجستاني، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عنٍ عمه للحسين بن مطيرٍ الأسدي، وقال عبد الرحمن قال عمي: لو كان شعر العرب هكذا ما أثم منشده:

ألا حبذا البيت الذي أنـت هـاجـره وأنت بتلماحٍ من الطرف نـاظـره
لإنك من بيتٍ لعـينـي مـعـجـبٍ وأملح في عيني من البيت عامـره
أصد حـيـاءً أن يلـم بـي الـهـوى وفيك المنـى لـولا عـدو أحـذره
وفيك حبيب النفس لو تستـطـيعـه حين تجـاوره لمات الهوى والشوق
فإن آتـه لـم أنـج إلا بـظـــنةٍ وإن يأته غيري تنط بـي جـزائره
وكان حبيب النفس للقـلـب واتـراً وكيف يحب القلب من هـو واتـره
فإن يكن الأعداء أحـمـوا كـلامـه علينا فلن يحمى علينا مـنـاظـره
أحبك يا سلمـى عـلـى غـير ريبةٍ ولا بأس في حبٍ تعـف سـرائره
ويا عاذلي لولا نـفـاسة حـبـهـا عليك لمـا بـالـيت أنـك خـائره
بنفسي مـن لا بـد أنـي هـاجـره وما أنا في الميسور والعسر ذاكـره
ومن قد لحاه الناس حتى اتـقـاهـم ببغضي إلا ما تـجـن ضـمـائره
أحبك حبـاً لـن أعـنـف محباً ولـكـنـي إذا لـيم

بـعـده عـاذره
لقد مات قبلي أول ولو مت أضحى الحب
الحب فانقـضـى قد مات آخره
كلامك يا سلمى وإن فلا تحسبي أني وإن
قل نـافـعـي قـل حـاقـره
ألا ل أبالي أي حـيٍ إذا أثمد البرقاء لم
تـحـمـلـوا يخل حـاضـره

وحدث المرزباني عن الأخفش قال: أنشدنا أبو العباس ثعلب عن ابن الأعرابي لحسين بن مطيرٍ الأسدي:

لقد كنت جلداً قبل أن على كبدي ناراً بطيئاً
توقد النـوى خمودها
ولو ترتكت نار الهوى ولكن شوقاً كـل يومٍ
لتصرمت وقـودها
وقد كنت أرجو أن إذا قدمت أيامها
تموت صبابتي وعـهـودها
فقد جعلت في حبة عهاد تولاها بشـوقٍ
القلب والحشا يعـيدها
بمرتجة الأرداف هيف عذاب ثناياها عجاف
خصورها قـيودها
وصفر تراقيها وحمر وسود نواصيها وبيض
أكـفـها خدودها
مخصرة الأوساط بأحسن مما زينتها
زانت عقودها عـقـودها
يمنينا حتـى تـرف رفيف الخزامى بات
قـلـوبـنـا طل يجودها
وفيهن مقلاق الوشاح مهاة بتزبانٍ طويل
كـأنـها عـقـودها
وكنت أذود العين أن فقد وردت ما كنت
ترد البـكـا عنه أذودها
هل الله عافٍ عن أم الله إن لم يعف
ذنوبٍ تسلفـت عنها معيدها?

وقال:

رأت رجلاً أودى بوافر لـحـمـه طلاب المعالي واكتساب المكارم
خفيف الحشا ضرباً كـأن ثـيابـه على قاطعٍ من جوهر الهند صارمِ
فقلت لها لا تعجـبـن فـإنـنـي أرى سمن الفتيان إحدى المشـائم

وأنشد له ابن قتيبة:

يضعفني حلمي وكثرة جهلهم علي وأني لا أصول بجاهل
دفعتكم عني وما دفـع راحةٍ بشيءٍ إذا لم تستعن بالأنامل

وأنشد له المبرد:

ولي كبد مقروحة من يبيعنـي بها كبداً ليست بذات قروح?
أباها على الناس لا يشترونهـا ومن يشتري ذا علةٍ بصحيح?

الحسين بن هبة الله ضياء الدين

أبو علي بن زاهرٍ الموصلي الملقب بدهن الخصا، أحد نحاة العصر، تصدر لإقراء العربية في بلده، وتقدم عند صاحب الموصل، ثم تغير عليه فرحل إلى الملك الناصر صلاح الدين، ثم وفد على ابنه في حلب فقربه ورتب لع معلوماً على إقراء العربية، وكان أديباً شاعراً متفنناً لقيته بحلب وبها مات سنة ثمانٍ وستمائةٍ. ومن شعره:

مرضت ولي جيرة كـلـهـم عن الرشد في صحبتي حـائد
فأصبحت في النقص مثل الذي ولا صـلة لـي ولا عــائد

وقال:

يبتهج الناس بأعيادهـم لأجل ذبحٍ أو لإفطـار
وإنما عظم سروري بها للثم من أهوى بلا عار
أرقبها حولاً إلى قابـلٍ لأنها غاية أوطـاري

وقال:

وإني وإن أخرت عنكم زيارتـي لعذرٍ فإني فـي الـمـودة أول

فما الود تكيري ولكن على ما في
الـزيارة دائمـاً القلوب المعول

الحسين بن هداب بن محمد

ابن ثابت الديري الأصل، نسبة إلى الدير، قرية من قرى النعمانية، ويعرف بالنوري، والنورية قرية من قرى الحلة السيفية من سيف الفرات، نزل بها أبو عبد الله الضرير. توفي يوم الأربعاء ثاني عشر رجب سنة اثنتين وستين وخمسمائةٍ، كان نحوياً لغوياً مقرأً فقيهاً شاعراً متفنناً، قرأ بالروايات على أبي العز محمد بن الحسين بن بندارٍ الواسطي، وأبي بكرٍ محمد بن الحسين بن علي المزرفي. سكن بغداد منعكفاً على نشر العلم والإقراء، فكان يقرئ النحو واللغة والقراءات، وكان يحفظ عدة دواوين من شعر العرب، وكان كثير الإفادة والعبادة، عفيفاً ديناً، وله شعر جيد منه:

فيك يا أغلوطة الفـكـر تاه عقلي وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فمـا ربحت إلا عنا السـفـر
رجعت حسرى وما وقفت لا على عـينٍ ولا أثـر

وقال:

بأبـي رئم تـبـلـج لـي عن رضىً في طيه غضب
وأراني صبح طـلـعـتـه بظلام الصدغ ينـتـقـب
وسقى بالكـأس مـتـرعةً صهباء مثل الشمس تلتهب
فهي شمس في يدي قمـرٍ وكلا عقديهما الـشـهـب
ولها مـن ذاتـهـا طـرب ولهذا يرقص الـجـبـب

وقال:

قال لي من رأى صباح مشيبي عن شمال من لمتي ويمـين?
أي شيءٍ هذا فقلت مجـيبـاً ليل شكٍ محاه صبـح يقـين

الحسين بن الوليد بن نصرٍ

أبو القاسم المعروف بابن العريف، النحوي الأديب الشاعر، له شرح كتاب الجمل في النحو للزجاج، وكتاب

الرد على أبي جعفرٍ النحاس في كتابه الكافي، وغير ذلك، وكان مقدماً في العربية إماماً فيها، عارفاً بصنوف الآداب، أخذ العربية عن ابن القوطية وغيره، ورحل إلى المشرق فأقام بمصر مدةً طويلةً، وسمع فيها من الحافظ بن رشيقٍ، وأبي طاهرٍ الذهلي وغيرهما، ثم عاد إلى الأندلس فاختاره المنصور محمد بن أبي عامرٍ صاحب الأندلس مؤدباً لأولاده، وكان يحضر مجالسه، ومناظرته مع أبي العلاء صاعدٍ اللغوي البغدادي مشهورة، فمن ذلك أن المنصور جلس يوماً وعنده أعيان مملكته من أهل العلم، كالزبيدي صاحب الطبقات، والعاصمي وابن العريف صاحب الترجمة وغيرهم فقال لهم المنصور: هذا الرجل الوافد علينا يزعم أنه متقدم في هذه العلوم، وأحب أن يمتحن، فوجه إليه، فلما مثل بين يديه والمجلس قد غص بالعلماء والأشراف، خجل صاعد واحتشم، فأدناه المنصور ورفع محله، وأقبل عليه وسأله عن أبي سعيدٍ السيرافي، فزعم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه، فبادره العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب فلم يحضره جوابها، واعتذر بأن النحو ليس جل بضاعته، فقال له الزبيدي: فما تحسن أيها الشيخ؟ فقال: حفظ الغريب. قال: فما وزن أولق؟ فضحك صاعد وقال: أمثلي يسأل عن هذا، إنما يسأل عنه صبيان المكتب. قال الزبيدي: قد سألناك ولا نشك أنك تجهله، فتغير لونه فقال: وزنه أفعل. فقال الزبيدي: صاحبكم ممخرق فقال له صاعد: إخال الشيخ صناعته الأبنية، فقال له: أجل، فقال صاعد: وبضاعتي أنا حفظ الأشعار ورواية الأخبار وفك المعمى وعلم الموسيقى. قال فناظره ابن العريف - صاحب الترجمة - فظهر عليه صاعدٍ وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعراً شاهداً وأتى بحكايةٍ تناسبها، فأعجب المنصور فقربه وقدمه، وكان يوماً بمجلس المنصور أيضاً فأحضرت إليه وردةً في غير أوانها لم يكمل فتح وراقها، فقال فيها صاعد مرتجلاً:

أتتك أبا عـامـرٍ وردة يذكرك المسك

كعذراء أبصرها مبصر أنفاسها فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور، وكان ابن العريف حاضراً فحسده وجرى إلى مناقضته، وقال للمنصور هذاالبيتان لغيره، وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندي على ظهر كتابٍ بخطه، فقال له المنصور: أرنيه، فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدرٍ، وكان أحسن أهل زمانه بديهةً فوصف له ما جرى، فقال ابن بدرٍ هذهالأبيات ودس فيها بيتي صاعدٍ:

غدوت إلى قصر عبـاسةٍ وقد جدل النوم حراسهـا

فألفيتها وهي في خدرها وقد صدع السكر أناسها

فقالت أسرت على هجعةٍ فقلت بلى فرمت كاسها

ومدت يديهـا إلـى وردةٍ يحاكي لك الطيب أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصـر فغطت بأكمامها رأسهـا

وقالت خف الله لا تفضح ن في ابنة عمك عباسها

فوليت عنها على خجـلةٍ وما خنت ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتابٍ بخطٍ مصريٍ ومدادٍ أشقر ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتد غيظه وقال للحاضرين غداً أمتحنه،فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ولم يبق في موضعٍ لي عليه سلطان. فلما أصبح أرسل إليه فأحضر وحضر جميع الندماء والجلساء فدخل بهم إلى مجلسٍ قد أعد فيه طبقاً عظيماً فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير ووضع على السقائف لعب من ياسمينٍ في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماءٍ قد ألقى فيها اللآلئ مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح، فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور: إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا وإما أن تشقى، لأنه قد زعم هؤلاء القوم أن كل ما تأتي به دعوى، وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملكٍ قبلي شكله، فصفه بجميع ما فيه، فقال له صاعد على البديهة:

أبا عامرٍ هـل غـير جـدواكَ واكـف وهل غير من عاداك في الأرض خائف

يسـوق إلـيك الـدهـر كـل غـريبةٍ وأعجب ما يلقهـا عـنـدك واصـف

وشائع نورٍ صاغها هامر الحي على حافتيها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت كمثل الظباء المستكنة كنساً وأعجب منها أنهن نواظر حصاها اللآلئ سابح في عبابها ترى ما تراه العين في جنباتها عليها بأنواع الملاهي وصائف تظللها بالياسمين السقائف إلى بركةٍ ضمت إليها الطرائف من الرقش مسموم الثعابين زواحف من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربوا له تلك البديهة في مثل ذلك الموضع، وكتبها المنصور بخطه، وكان إلى ناحيته نت تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من ذهبٍ لم يرها صاعد، فقال له المنصور: أحسنت إلا أنك أغفلت ذكر السفينة والجارية، فقال للوقت:

وأعجب منها غادة في سفينةٍ إذا راعها موج من الماء تتقي متى كانت الحسناء ربان مركبٍ ولم تر عيني في البلاد حديقةً ولا غرو أن أنشت معاليك روضةً فأنت امرؤ لو رمت نقل متالعٍ إذا قلت قولاً أو بدهت بديهةً مكللة تصبو إليها الهواتف بسكانها ما هيجته العواصف تصرف في يمنى يديه المجاذف تنقلها في الراحتن الوصائف وشتها أزاهير الربا والزخارف ورضوى ذرتها من سطاك نواسف فكلني له لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينارٍ ومائة ثوبٍ، ورتب له في كل شهرٍ ثلاثين ديناراً وألحقه بندمائه. توفي أبو القاسم ابن العريف بطليطلة في رجبٍ سنة تسعين وثلاثمائةٍ.

حرملة بن المنذر بن معد يكرب

ابن حنظلة بن النعمان بن حبة بن سعنة بن الحارث بن ربيعة، ويتصل نسبه بيعرب بن قحطان أبو زبيدٍ الطائي شاعر معمر عاش خمسين ومائة سنة، وعداده في المخضرمين، أدرك الإسلام ولم يسلم ومات نصرانياً. وكان أبو زبيدٍ طزالاً من الرجال ينتهي إلى ثلاثة عشر شبراً، وكان حسن الصورة فكان إذا دخل مكة دخلها متنكراً لجماله. وكان أبو زبيدٍ يزور الملوك وملوك العجم خاصةً، وكان عالماً بسيرهم، ووفد على الحارث بن أبي شمر الغساني والنعمان بن المنذر. حدثعمارة بن قابوس قال: لقيت أبو زبيدٍ الطائي فقلت له: يا أبا زبيدٍ هل أتيت النعمان بن المنذر؟ قال: إي والله لقد لقد أتيته وجالسته. قلت: فصفه لي فقال: كان أحمر أزرق أبرش قصيراً. فقلت له: أيسرك أنه سمع مقالتك هذه وأن لك حمر النعم؟ قال: لا والله ولا سودها، فقد رأيت ملوك حمير في ملكها، ورأيت ملوك غسان في ملكها، فما رأيت أشد عزاً منه. كان ظهر الكوفة منبت الشقائق فحمى ذلك المكان فنسب إليه، فقيل سقائق النعمان. فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأن على رؤوسنا الطير، فقام رجلٌ من الناس فقال له: أبيت اللعن، أعطني فإني محتاج، فتأمله طويلاً ثم أمر به فأدني حتى قعد بين يديه، ثم دعا بكنانةٍ فاستخرج منها مشاقص فجعل يجأبها وجهه حتى سمعنا قرع العظام وخضب بالدم، ثم أمر به فنحي. ومكثنا ملياً فنهض رجل آخر فقال له: أبيتاللعن، أعطني فتامله ساعةً ثم قال: أعطوه ألف درهمٍ فأخذها وانصرف، ثم التفت النعمان عن يمينه ويساره وخلفه فقال: ما قولكم في رجلٍ أزرق أحمر يذبح على هذه الأكمة؟ أترون دمه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي؟ فقلنا له: أنت - أبيت اللعن - أعلى برأيك فدعا برجلٍ على

هذه الصفة فأمر به فذبح ثم قال: ألا تسألوني عما صنعت؟ فقلنا: ومن يسألك عن أمرك وما تصنع؟ فقال: أما الأول فإني خرجت مع أبي نتصيد فممرنا به وهو بفناء بابه وبين يديه عس من لبنٍ فتناولته لأشرب منه، فثار إلي فهراق الإناء فملأ وجهي وصدري فأعطيت الله عهداً لئن أمكنني من لأخضبن لحينه وصدره من دم وجهه. وأما الآخر فكانت له عندي يد فكافأته بها. وأما الذي ذبحته فإن عيناً لي بالشام كيب علي: أن جبلة بن الأيهم بعث إليك برجلٍ صفته كذا وكذا ليقتلك، فطلبته فلم أقدر عليه حتى كان اليوم فرأيته بين القوم فأخذته. وكان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يقرب أبا زبيدٍ ويدني مجلسه لمعرفته بسير من أدركهم من ملوك العرب والعجم، فدخل عليه يوماً وعنده المهاجرون والنصار، فتذاكروا مآثر العرب وأخبارها وأشعارها، فالتفت إليه عثمان وقال له: يا أخا تبع المسيح أسمعنا بعض قولك، فقد أنبئت أنك تجيد الشعر، فأنشده قصيدته التي أولها:

من مبلغ قومنا النائين أن الفؤاد إليهـم شـيق
إذ شحطوا ولـع

ووصف فيها الأسد فقال له عثمان: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت، والله إني لأحسبك جباناً هداناً. قال: كلا يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت منه منظراً وشهدت مشهداً لا يبرح يتجدد في قلبي، ومعذور أنا بذلك يا أمير المؤمنين غير ملومٍ. فقال له عثمان: وأين كان ذلك وأنى؟ فقال: خرجت في صيابةٍ من أشراف العرب وفتيانهم ذوي هيبةٍ وشارةٍ حسنةٍ ترمي بنا المهري بأكسائها والقيروانات على قنو البغال تسوقها العبدان، ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام، فاخروط بنا السير في حمارة القيظ، حتى إذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه، وذكت الجوناء والمعزاء، وذاب الصيهب وصر الجندب، وضاف العصفور الضب في وجره وجاوره في جحره. قال قائل: أيها الركب تغوروا بنا في ضوج هذا الوادي، وإذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدغل، دائم الغلل،

صحراؤه مغنة، وأطياره مرنة، فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلاتٍ، وأصبنا من فضلات المزاود وأتبعناها الماء البارد. فلما انتصف حر يومنا ذلك، وبينما نحن كذلك إذ صر أقصى الخيل أذنيه، وفحص الأرض بيديه، فوالله ما لبث أن حال، ثم حمحم فبال، ثم فعل فعله الذي يليه واحداً فواحداً، فتضعضعت الخيل، وتكعكعت الإبل، وتقهقرت البغال، فمن نافرٍ بشكاله، وشاردٍ بعقاله، فعلمنا أنه السبع، ففزع كل منا إلى سيفه فسله من قرابه، ثم وقفنا رزدقاً فأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالع في مشيته كأنه مجنون، أو في وجار مسجون، لطرفه وميض ولصدره شحيط، ولبلعومه غطيط، ولأرساغه قضيض كأنما يخبط هشيماً، أو يطأ رميماً، له هامة كالمجن، وخد كالمسن، وعينان سجروان كأنهما سراجان يتقدان، وقصرة ربلة، ولهزمة رهلة، وكتد معبط، وزند مفرط، وساعد مجدول، وعضد مفتول، وكف شثنة البراثن، إلى مخالب كالمحاجن، فضرب بيديه فأرهج، وكشر فأفرج عن أنيابٍ كالمعاول مصقولةٍ غير مفلولةٍ، وفمٍ أشدق كالغار الأخرق، ثم تمطى بيديه وحفز بوركيه حتى صار ظله مثيله، ثم أقعى فاقشعر، ثم أقبل فاكفهر، ثم تجهم فازبأر، فلا وذو بيته في السماء، ما اتقيناه إلا بأخٍ لنا من فزارة، كان ضخم الجزارة، فوقصه فوقصه ثم نفضه نفضةً فقضقض متنيه وجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابي، فبعد لأي ما استقدموا فجهجهنا به، فكر مقشعراً بزبرته كأن به نهماً حولياً فاختلج رجلاً أعجر ذا حوايا، فنفضه نفضة تزايلت بها مفاصله، ثم همهم ففرفر وزفر فبربر، ثم زأر فجرجر، ثم لحظ فأشزر، فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من شماله ومن يمينه، فأرعشت الأيدي واصطكلت الأرجل وأطت الأضلاع، وارتجت الأسماع وشخصت العيون، وساءت الظنون، فظنت المنون فقال له عثمان: اسكت قطع الله لسانك، فقد أرعبت قلوب المسلمين. وقال يصف الأسد:

فباتوا يدلجون وبات بصير بالدجى هادٍ

يسـري همـوس
إلى أن عرسوا وأغب قريباً ما يحس له عنهم حسـيس
خلا أن العتاق من المطـايا حسين به فهن إليه شـوس
فلما أن رآهم قـد تـدانـوا أتاهم بين رحلـهـم يريس
فثار الزاجرون فزاد قربـاً إليهم ثم واجهـه ضـبـيس
بنصل السيف ليس له مجـن فصد ولم يصادفه جسـيس
فيضرب بالشمال إلى حشـاه وقد نادى وأخلفه الـنـيس
يشتر كالمحملق في عـيونٍ تقـيه الأرض الـربـيس
فخر السيف واختلجـت يداه وكان بنفسه وقيت نفـوس
وطار القوم شتىً والمطـايا وغودر في مكرهم الرسيس
وجال كأنه فرس صـنـيع يجر جلاله ذيل شـمـوس
كأن بنحره و بـسـاعـديه عبيراً بات تعبؤه عـروس
فذلك إن تلاقـوه تـفـادوا ويحدث عنكم أمر شكـيس

وقال ابن الأعرابي: كان لأبي زبيدٍ كلب يقال له الأكدر، وكان له سلاح يلبسه إياه فكان لا يقوم له الأسد، فخرج ليلةً ولم يلبسه سلاحه فلقيه الأسد فقتله، فقال أبو زبيدٍ:

أجال أكدر مشـياً لا كـعـادتـه حتى إذا كان بين البئر والطعـن
لاقى لدى ثلل سرت وأكدر تحت الأطـواء داهـيةً الليل في قرن

حفت به شيمة ورهاء حتى تناهى إلى
تـطـرده الجولان في سنن
إلى مقابل فتل فوق السراة كذفرى
الساعـدين لـه الفالج القمن
ريبال غابٍ فلا قحم كالفيل يختطم
ولا ضـرع الفحلين في شطن

وهي قصيدة طويلة، فلامه قومه على كثرة وصفه للأسد وقالوا: قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له. فقال: لو رأيتم منه ما رأيت، أو لقيتم منه ما لقي أكدر لما لمتموني، ثم أمسك عن وصفه حتى مات. وقال ابن الأعرابي: مان أبو زبيدٍ يقيم أكثر أيامه في أخواله بني تغلب، وكان له غلام يرعى إبله فغزت بهراء وهم من قضاعة بني تغلب، فمروا بغلامه فدفع إليهم إبل أبي زبيدٍ وانطلق معهم يدلهم على عورة القوم ويقاتل معهم، فهزمت تغلب بهراء وقتل الغلام. فقال أبو زبيدٍ في ذلك:

هل كنت في منظرٍ ومستـمـعٍ في نصر بهراء غير ذي فرس
تسعى إلى فتـية الأراقـم واس تعجلت قبل الجمان والقـبـس
في عارضٍ من جبال بهرائها الً ألى مرين الحرون عـن درس
فبهرة إذ لقوا حـسـبـتـهـم أحلى وأشهى من بارد الدبـس
لا ترة عندهم فتـطـلـبـهـا ولا هم نهزة لـمـخـتـلـس
جود كـرام إذا هـم نـدبــوا غير لئام ضجرٍ ولا خـسـس
صمت عظام الحلوم إن سكتـوا من غير عيٍ بهـم ولا خـرس
تقود أفراسـهـم نـسـاؤهـم يزجون أجمالهم مع الغـلـس

صادقت لما خرجت جهم المحيا كباسلٍ منطلقاً شرس
تخال في كفه تلمع فيها كشعلة مثقفةً القبس
بكف حران ثائرٍ طلاب وترٍ في الموت بدمٍ منغمس
إما تقاذفبك الرماح أبكيك إلا للدلو فلا والمرس
حمدت أمري أمسك جلز السنان ولمت إذ بالنفس
وقد تصليت حر كما تتصلى المقرور نارهم من قرس
تذب عنه كف بها طيراً عكوفاً كزور رمق العرس
عما قليلٍ علون فهن من والغٍ جثته ومنتهس

فلما بلغ شعره بني تغلب بعثوا إليه بدية غلامه وما نهب من إبله. فقال في ذلك:

ألا بلغ بني عمرو فإني في مودتكم رسولاً نفيس
فما أنا بالضعيف ولا حقي اللفاء ولا فتظلموني خسيس
أفي حقٍ مواساتي بمالي ثم يظلمني أخاكم السريس

وحدث ابن الأعرابي قال: كان أبو زبيدٍ الطائي نديماً للوليد بن عقبة والي الكوفة من قبل عثمان، فلما شهدوا عليه بشرب الخمر وعزل عن عمله وخرحمن الكوفة قال أبو زبيدٍ:

من يرى العير لابن ر المرورى حداتهن أروى على ظه عجال
مصعداتٍ والبيت بٍ خلاء تحن فيه بيت أبو وه الشمال
يغرف الجاهل دهر فيه النكراء المضلل أن الد والزلزال

ليت شعري كذاكم العهد أم كا نوا أناساً ممن يزول فزالوا?

بعد ما تعلمين يا أم زيدٍ كان فيهم عز لنا وجمال

ووجوه بودنا مشرقات ونوال إذا أريد النوال

أصبح البيت قد تبدل بالحي ي وجوهاً كأنها الأقتال

كل شيءٍ يختال فيه الرجال غير أن ليس للمنايا احتيال

ولعمر الإله لو كان للسي ف مصال أو للسان مقال

ما تناسيتك الصفاء ولا الود د ولا حال دونك الأشغال

ولحرمت لحمك المتصي ضلةً ضل حلمهم ما اقتالوا

قولهم شربك الحرام وقد كا ن شراباً سوى الحرام حلال

وأبى الظاهر العداوة إلا شنآناً وقول ما لا يقال

من رجالٍ تقارضوا منكراتٍ لينالوا الذي أرادوا فنالوا

غير ما طالبين ذحلا ولكن مال دهر على أناسٍ فمالوا

من يخنك الصفاء أو يتبدل أو يزل مثل ما تزول الظلال

فاعلمن أنني أخوك أخو الد د حياتي ختى تزول الجبال

ليس بخل عليك عندي بمالٍ أبداً ما أقل نعلاً قبال

ولك النصر باللسان ف إذا كان لليدين

وبالكـف مـصـال

ولأبي زبيدٍ في مدح الوليد بن عقبة شعر كثير تركناه خوف الإطالة، ومن جيد شعره:

إن نيل الحياة غير سـعـود وضلال تأميل نيل الخلـود

علل المرء بالأماني ويضحي غرضاً للمنون نصباً لعـود

كل يومٍ ترميه منها برشـقٍ فمصيب أوصال غير بعـيد

كل ميتٍ قد اغتفرت فلا وا جع من والدٍ ومن مولـود

غير أن الجلاح هذا جناحي يوم فارقته بأعلى الصعـيد

وكان أبو زبيدٍ يحمل في كل أحدٍ إلى البيع مع النصارى، فبينا هو يوم أحدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر نظراً طويلاً، ثم رمى الكأس من يده فقال:

إذا جعل المرء الذي كان حازماً يحل به حل الحوار ويحـمـل

فليس له في العيش خير يريده وتكفينه ميتاً أعف وأجـمـل

أتاني رسول الموت يا مرحباً به وإني لآتيه أما سوف أفـعـل

ثم مات فجأةً ودفن هناك.

حفص الأموي مولاهم

شاعر من شعراء الدولة الأموية، عاش حتى ادرك دولة بني العباس، ولحق بعبد الله بن علي فاستأمنه، فهو من مخضرمي الدولتين، وكان يختلف إلى كثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة الشاعر يروي عنه شعره، وكان حجاءً لبني هاشمٍ، فطلبه عبد الله بن علي فلم يقدر عليه، ثم جاءه حفص مستأمناً فقال: أنا عائد بالأمير، فقال له: ومن أنت؟ قال: حفص الأموي، فقال: أنت الهجاء لبني هاشمٍ؟ فقال: أنا الذي أقول - أعز الله الأمير -:

وكانت أمية في ملكـهـا تجور وتكثر عدوانـهـا

فلما رأى الله أن قد طغت ولم يحمل الناس طغيانها

زماها بسفاح آل الرسول فجذ بكفـيه أعـيانـهـا

ولو آمنت قبل وقع العذاب لقد يقبل الله إيمـانـهـا

فلما أتم الإنشاد، قال له عبد الله بن عليٍ: اجلس، فجلس فتغدى بين يديه، ثم دعا عبد الله خادماً له فساره بشيء ففزع حفص وقال: أيها الأمير، قد تحرمت بك وبطعامك وفي أقل من هذا كانت العرب تهب الدماء. فقال له عبد الله: ليس شيء مما ظننت، فجاء الخادم بخمسمائة دينارٍ فقال: خذها ولا تقطعنا، وأصلح ما شعثت منا. وروى ابن السائب الكلبي أن هشام بن عبد الملك قال يوماً لقوامه على خيله: كم أكثر ما ضمت حلبة من الخيل في الجاهلية والإسلام؟ قالوا: ألف فرسٍ وقيل ألفان، فأمر أن يؤذن بالناس بحلبةٍ تضم أربعة آلاف فرسٍ، فقيل له: يا أمير المؤمنين يحطم بعضها بعضاً فلا يتسع لها طريق، فقال: نطلقها ونتوكل على الله، والله الصانع. فجعل الغاية خمسين ومائتي غلوةٍ، والقصب مائةً، والمقوس ستة أسهمٍ، وقاد إليه الناس من كل أوبٍ، ثم برز هشام إلى دهناء الرصافة قبيل الحلبة بأيامٍ، فأصلح طريقاً واسعاً لا يضيق بها، فأرسلت يوم الحلبة بين يديه وهو ينظر إليها تدور حتى ترجع، وجعل الناس يتراؤونها حتى أقبل الزابد كأنه ريح لا يتعلق به شيء حتى دخل سابقاً وأخذ القصبة، ثم جاءت الخيل بعد ذلك أفذاذاً وأفواجاً، ووثب الرجاز يرتجزون، منهم المادح للزابد، ومنهم المادح لفرسه، ومنهم المادح لخيل قومه، فوثب حفص الأموي مولاهم وقام مرتجزاً يقول:

إن الجواد السابـق الإمـام خليفة الله الرضي الهمـام

أنجبه السوابـق الـكـرام من منجباتٍ ما لهـن ذام

كرائم يجلى بها الـظـلام أم هشامٍ جدها القمـقـامً

وعائش يسمو بها الأقـوام خلائف من نجلها أعـلام

إن هشاماً جـده هـشـام مقابل مدابـر هـضـام

جرى به الأخوان والأعمام فحل كفحل كلهـم قـدام

سنوا له السبق وما استقاموا حتى استقام حيث استقاموا

وأحرز المجد الذي أقاموا أطلق وهو يفع غـلام

في حلبةٍ تم لها التـمـام من آل فهرٍ وهم السنام
فبذها سبقاً ومـا ألامـوا كذلك الزابد يوم قامـوا
أتى ببدء الخيل مـا يرام مجلياً كـأنـه حـسـام
سباق غايات لها ضـرام لا يقبل العفو ولا يضام
ويل الجياد منهماذا راموا سهم تفر دونه السهـام

فأعطاه هشام يومئذٍ ثلاثة آلاف درهم، خلع عليه ثلاث حللٍ من جيد وشي اليمن، وحمله علىً فرسٍ من خيله السوابق، وانصرف معه ينشده الرجز حتى قعد في مجلسه، وأمره بملازمته. فكان أثيراً عنده، وقال حفص أيضاً:

لا خير في الشيخ إذا ما اجلخا وسال غرب دمعه فـلـخـا
وكان أكـلاً كـلـه وشـخـاً تحت رواق البيت يخشى الدخا

حفص بن سليمان بن المغيرة

أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الفاخري البزاز نسبته لبيع البر، وهو الإمام القارئ راوي عاصم بن أبي النجود، كان ربيب عاصم - ابن زوجته - فأخذ عنه القراءة عرضاً وتلقينا. قال حفص: قال لي عاصم: القراءة التي أقرأتك بها فهي التي قرأتها عرضاً على أبي عبد الرحمن السلمي عن عليس، والتي أقرأتها أبا بكرٍ بن عياشٍ فهي التي كنت أعرضها على زر بن حبيشٍ عن ابن مسعودٍ. ولد حفص سنة تسعين، ونزل بغداد فأقرأ بها وأخذ عنه الناس قراءة عاصمٍ تلاوةً، وجاور بمكة فأقرأ بها أيضاً. قال يحيى بن معينٍ: الرواية الصحيحة من قراءة عاصمٍ رواية حفصٍ، وكان أعلمهم بقراءة عاصمٍ، وكان مرجحاً على شعبة

بضبط القراءة، وتوفي حفص بن سليمان سنة ثمانين ومائةٍ.

حفص بن عمر بن عبد العزيز

ابن صهبان بن عيسى بن صهبان، ويقال صهيب أبو عمر الدوري الأزدي البغداي المقرئ النحوي الضرير نزيل سامراً، راوي الإمامين أبي عمرو والكسائي، إمام القراء وشيخ العراق في زمانه، ثقة ثبت كبير ضابط، رحل في طلب القراءات، وقرأ بالحروف السبعة و بالشواذ وسمع من ذلك شيئاً كثيراً، وقرأ على أبي عمرو بن العلاء والكسائي وروى عنهما، وقرأ العربية على أبي محمدٍ يحيى بن المبارك اليزيدي. قال أبو داود: رأيت أحمد بن حنبلٍ يكتب عن عمر الدوري. وصنف كتاب: ما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن، وكتاب أجزاء القرآن وغير ذلك.

والدوري نسبته إلى أبو عمر الدوري سنة ستٍ وأربعين ومائتين.

أبو حفصٍ الزكرمي العروضي

الأديب الشاعر، قال الحافظ أبو طاهرٍ السلفي في معجم الشعراء: أنشدني أبو القاسم ذربان ابن عتيق بن تميمٍ الكاتب قال: أنشدني أبو حفصٍ الزكرمي بإفريقية مما له بالأندلس وقد طولب بمكسٍ يتولاه يهودي:

ياأهل دانيةٍ لقد	حكم الشريعة
خـالـفـتـم	والمروءة فينا
مالي أراكم تأمرون	أمرت ترى نسخ الإله
بضد مـا	الدينـا
كنا نطالب لليهـود	وأرى اليهود بجزيةٍ
بـجـزيةٍ	طلبونـا
ما إن سمعنا مالكاً	كلا ولا من بعده
أفتى بـذا	سحنـونـا
لا هؤلاء ولا الأئمة	حاشاهم بالمكس قد
كلـهـم	أمرونـا
أيجوز مثلي أن يمكس	لو كان يعدل وزنه
عدلـه	قاعونـا
ولقد رجونا أن ننال	رفداً يكون على

بعدلـكـم الزمان معينا
فالآن تقنع بالسلامة لا تأخذوا منا ولا
منـكـم تعطـونـا

حفصة بنت الحاج الركوني

شاعرة أديبة من أهل غرناطة، مشهورة بالحسب والأدب والجمال والمال. جيدة البديهة رقيقة الشعر أستاذة. وليت تعليم النساء في دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن عليٍ، وسألها يوماً أن تنشده فقالت ارتجالاً:

يا سيد الناس يا من يؤمل الناس رفده
أمننن على بطرسٍ يكون للدهر عده
تخط يمناك فـيه الحمد لله وحـده

أشارت بذلك إلى العلامة السلطانية، فإن السلطان كان يكتب بيده في رأس المنشور بخطٍ غليظٍ)الحمد لله وحده(فمن عليها وكتب لها بيده ما طلبت، وتولع بها أمير المؤمنين عبد المؤمن المذكور، وتغير بسببها على أبي جعفرٍ أحمد بن عبد الملك بن سعيدٍ العنسي، وكان عاشقاً لها متصلاً بها يتبادلان رسائل الغرام، ويتجاوبان تجاو بالحمام، وقد أدى ولع عبد المؤمن بها إلى قتل أبي جعفرٍ. ومما كتبته حفصة إلى أبي جعفرٍ:

رأست فما زال العداة وحقدهم النامي
بظلمـهـم يقولون لم رأس?
ومل منكر أن ساد جموح إلى العليا نقي
أهل زمـانـه من الدنس?

وبات معها أبو جعفرٍ في بستانٍ بحوزٍ مؤملٍ، فلما حان وقت الفراق قال:

رعى الله ليلاً لـم يرع عشية وارانـا بـحـوز
بـمـذمـمٍ مـؤمـل
وقد خفقت من نحـو إذا نفحت جاءت بريا
نـجـدٍ أريجة القـرنـفـل
وغرد قمري على قضيب من الريحان
الدوح وانثـنـى من فوق جدول
يرى الروض مسروراً عناقٍ وضمٍ وارتشـاف
بما قد بدا له مـقـبـل

فقالت:

لعمرك ما سر الرياض ولكنه أبدى لنا الغل

بوصلنا والحـسـد
ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنـا ولا غرد القمري إلا لما وجـد
فلا تحسن الظن الذي أنت أهله فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه لأمرٍ سوى كيما يكون لنا رصد

وقالت:

سلوا البرق الخفاق والليل ساكن أظل بأحبابي يذكرنـي وهـنـا
لعمري لقد أهدى لقلبي خفوقـه وأمطر كالمنهل من مزنه الجفنا

وبلغها أن أبا جعفر بن سعيدٍ علق بجاريةٍ سوداء فأقام معها أياماً فكتبت إليه:

يا أظرف الناس قبل حالٍ أوقعه وسطه الـقـدر
عشقت سوداء مثل لـيلٍ بدائع الحسن قد ستـر
لا يظهر البشر في دجاها كلا ولا يبصر الخفـر
بالله قل لي وأنـت أدرى بكل من هام في الصور
من الذي حب قبل روضاً لا نور فيه ولا زهـر?

فكتب إليها معتذراً:

لا حـكـم إلا لأمـر نـاهٍ له من الـذنـب يعـتـذر
له مـحـيا بـه حـياتـي أعيذ مجـلاه بـالـسـور
كضحوة العيد في ابتـهـاجٍ وطلعة الشمس والقـمـر
بسـعـده لـم أمـل إلـيه إلا طـريفـاً لـه خـبـر
عدمت صبحي فاسود عشقي وانعكس الفكر والنـظـر

إن لم تلح يا نعـيم روحـي فكيف لا تفسد الفـكـر?

وكتبت إلى بعض أصحابها:

أزورك أم تزور فإن قلـبـي إلى ما تشتهـي أبـداً يمـيل

فثغري مـورد عـذب زلال وفرع ذؤابتي ظـل ظـلـيل

وهل تخشى بأن تظما وتضحى إذا وافى إليك بي المـقـيل

فعجل بالجواب فما جـمـيل إباؤك عن بثـينة يا جـمـيل

وكان أبو جعفر بن سعيدٍ يوماً في منزله، وقد خلا ببعض أصحابه وجلسائه، فضرب الباب فخرجت جاريته تنظر من بالباب? فوجدت امرأةً فقالت لها: ما تريدين? فقالت: ادفعي لسيدك هذه البطاقة، فإذا فيها:

زائر قد أتى بجـيد غـزالٍ طامع من محبه بالوصـال

بلحاظٍ من سحر بابل صيغت ورضابٍ يفوق بنت الدوالي

يفضح الورد ما حوى منه خد وكذا الثغر فاضح لـلآلـئ

أتراكم بإذنكم مـسـعـفـيه أم لكم شاغل من الأشغـال

فلما قرأ الرقعة قال: ورب الكعبة ما صاحب هذه الرقعة إلا حفصة، فبادر إلى الباب فلم يجدها فكتب إليها:

أي شغلٍ عن المحـب يعـوق يا صاحباً قد آن منه الشروق?

صل وواصل فأنت أشهى إلينا من لذيذ المنى فكم ذا نشوق?

لا وحبيك لا يطيب صـبـوح غبت عنه ولا يطيب غبـوق

لا وذل الجفا وعز التـلاقـي واجتماعٍ إليه عز الـطـريق

وقالت:

أغار عليك من عيني ومنك ومن زمانك وقلبي والمكان
ولو أني جعلتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

ماتت حفصة بمراكش سنة ستٍ وثمانين وخمسمائةٍ.

الحكم بن عبدل بن جبلة

ابن عمرو بن ثعلب بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال بن نصر بن غاضرة، وينتهي نسبه إلى خزيمة بن مدركة، الأسدي الفاخري الكوفي، شاعر مجيد هجاء من شعراء الدولة اللأموية، كان ممن نفاه ابن الزبير من العراق كما نفى منها عمال بني أمية، فقدم دمشق ونال من عبد الملك بن مروان حظوةً فكان يدخل عليه ويسمر عنده، فقال ليلةً لعبد الملك:

يا ليت شعري وليت هل أبصرن بني العوام
ربما نفعـت قد شملوا
بالذل والأسر على البرية حتف
والتشـريد إنـهـم حيثما نزلـوا
أم هل أراك بأكناف ذلت لعزك أقوام وقد
العراق وقد نكـلـوا?

فقال عبد الملك:

إن يمكن الله من ومن جذامٍ ويقتل
قيسٍ ومن جدسٍ صاحب الحرم
نضرب جماجم أقوامٍ ضرباً ينكل عنا غابـر
على حنـقٍ الأمـم

ودخل يوماً على عبد الملك فقعد بين السماطينوقال: - أصلح الله الأمير -، رؤيا رأيتها بالمنام أقصها عليك? فقال: هات، فأنشا يقول:

طلعت الشمس بعد في نومةٍ ما كنت قبل
غضارةٍ أنامها
فرأيت أنك جدت لي مغنوجةٍ حسنٍ علي
بولـيدةٍ قيامهـا
وببدرةٍ حملت إلي شهباء ناجيةٍ يصل
وبـغـلةٍ لجامهـا
فسألت ربي أن يثيبك يلقاك فيها روحها
جـنةً وسلامها

فقال: كل ما رأيت عندنا إلا البغلة فإنها دهماء فارهة فقال: امرأته طالق إن كان رآها إلا دهماء، ولكنه نسي فأمر عبد الملك أن يحمل إليه كل ما ذكر في شعره. ودخل ابن عبدلٍ على محمدٍ بن حسان بن سعدٍ وكان على خراج الكوفة، فكلمه في رجلٍ من

العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خراجه، فقال محمد بن حسانٍ: أماتني الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئاً، فانصرف ابن عبدلٍ وهو يقول:

دع الثلاثين لا تعرض لصاحبها لا بارك الله في تلك الثلاثينا

لما علا صوته في الدار مبتكراً كإشتفانٍ يرى قوماً يدوسونا

أحسن فإنك قد أعطيت مملكةً إمارةً صرت فيها اليوم مفتونا

لا يعطك الله خيراً مثلها أبداً أقسمت بالله إلا قلت آمينا

ولما لم يضع من خراج الرجل شيئاً، قال ابن عبدلٍ فيه:

رأيت محمداً شرهاً ظلوماً وكنت أراه ذا ورعٍ وقصد

يقول أماتني ربي خداعاً أمات الله حسان بن سعد

ركبت إليه في رجلٍ أتاني كريمٍ يبتغي المعروف عندي

فقلت له وبعض القول نصح ومنه ما أسر له وأبدي

توق كرائم البكري إني أخاف عليك عاقبة التعدي

فما صادفت في قحطان مثلي ولا صادفت مثلك في معد

أقل براعةً وأشد بخلاً وألأم عند مسألةٍ وحمد

فقدت محمداً ودخان فيه كريح الجعر فوق عطين جلد

فأقسم غير مستنٍ يميناً أبا بخرٍ لتتخمن ردى

فلو كنت المهذب من تميمٍ لخفت ملامتي ورجوت حمدي

نكهت علي نكهة شتيمٍ أعصل الأنياب

أخـدريٍ ورد
فما يدنـو إلـى فـمـه ولو طليت مشافـره
ذئاب بـتـنـد
فإن أهديت لي من فإني كالذي أهديت
فيك حتفـاً مـهـدي
ولولا ما وليت لكنت لئيم الكسب شأنك
فـسـلاً شأن عـبـد

وخطب محمد بن حسانٍ هذا بنتاً لطلبة بن قيس بن عاصمٍ المنقري فقال ابن عبدلٍ:

لعمري ما زوجتـهـا ولكنما زوجـتـهـا
لـكـفـاءةٍ لـلـدراهـم
وما كان حسان بن أبو البخر من أكفاء
سعدٍ ولا ابـنـه قيس بن عاصم
ولكنه رد الزمان وضيع أمر المحصنات
عـلـى اسـتـه الـكـرائم
له ريقة بخراء تصـرع وتنتن خيشوم الضجيع
مـن دنـا الـمـلازم
خذي ديةً منه تـكـونـي وروحي إلى باب
غـنـيةً الأمير فخاصمي

وكان بالكوفة امرأة موسرة لها على الناس ديون كثيرة بالسواد، فأتت الحكم بن عبدلٍ وعرضت له بأنها تتزوجه إذا اقتضى لها ديونها، فقام ابن عبدلٍ بدينها حتى اقتضاه ثم طالبها بالوفاء فكتبت إليه:

سيخيطك الذي فقطع حبل وصلك من
حاولت منـي حبالي
كما أخطاك معروف وكنت تعد ذلـك رأس
ابن بشرٍ مـال

وكان ابن عبدلٍ يأتي ابن بشرٍ بن مروان بالكوفة فيسأله فيقول له: أخمسمائةٍ أحب إليك العام أم ألف في قابلٍ؟ فيقول ألف في قابلٍ، فإذا أتاه من قابلٍ قال له: ألف إليك العام أم ألفان في قابلٍ؟ فيقول ألفان، فلم يزل كذلك حتى مات ابن بشرٍ ولم يعطه شيئاً. فدخل ابن عبدلٍ على عبد الملك بن مروان بعد ما جرى من المرأة، فقال له عبد الملك: ما أحدثت بعدي، قال: خطبت امرأةً من قومي فردت علي ببيتي شعرٍ، قال: وما هما؟ قال: قالت:

سيخيطك الذي حاولت مني

البيتان، فضحك عبد الملك وقال له: - لحاك الله - أذكرت بنفسك، وأمر له بألفي درهمٍ. وعن ابن الكلبي قال: كان الحكم بن عبدلٍ منقطعاً إلى بشر بن مروان وكان يأنس به ويقربه، وأخرجه معه إلى البصرة لما وليها، فرأى منه الحكم جفاءً لشغلٍ عرض عرض له فانقطع عنه شهراً ثم أتاه، فلما دخل عليه قال له بشر: يابن عبدلٍ ما لك انقطعت عنا وقد كنت لنا زواراً، فقال ابن عبدلٍ:

كنت أثني عليك خيراً فلـمـا أضمر القلب من نوالك ياسـا
كنت ذا منصبٍ قنـيت حـيائي لم أقل غير أن هجرتك باسـا
لم أطق ما أردت بي يابن مروا ن ستلقـى إذا أردت أنـاسـا
يقبلون الخسيس منك ويثـنـو ن ثناء مدخمساً دخـمـاسـا

فقال له: لا نسومك الخسي ولا نريد منك ثناءً مدخمساً ووصله وكساه، ولما مات بشر جزع ابن عبدلٍ فقال يرثيه:

أصبحت جم البلابل الصـدر متعجباً لتصرف الـدهـر
ما زلت أطلب في البلاد فتىً ليكون لي ذخراً من الذخـر
ويظل يسعدنـي وأسـعـده في كل نائبةٍ مـن الأمـر
حتى إذا ظفـرت يداي بـه جاء القضاء بحينـه جـري
إني لفي هـمٍ يبـاكـرنـي منه وهمٍ طـارقٍ يسـري
فلأصبـرن ومـا رأيت دوا للهم غير عزيمة الصـبـر
والله ما استعظمت فرقـتـه حتى أحاط بفضله خبـري

وعن النضر بن شميلٍ قال: دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو فقال: أنشدني أقنع بيتٍ للعرب، فأنشدته قول الحكم بن عبدلٍ:

إني امرؤ لم أزل وذاك من ال له أديبـاً عـلـم الأدبـــا
أقيم بالدار ما اطمأنت دار وإن كنت نازعاً

بي الـد طربـا
لا أحتوي خلة أتبع نفسي شـيئاً إذا
الـصـديق ولا ذهـبـا
أطلب ما يطلب رزق بنفسي وأجمل
الكريم من الر الطلبـا
وأحلب الثرة أجهد أخلاف غيرها
الـصـفـي ولا حلـبـا
إني رأيت الفتى رغبته في صنـيعةٍ
الـكـريم إذا رغـبـا
والعبد لا يحسن يعطيك شـيئاً إلا إذا
العطـاء ولا ذهـبـا
مثل الحمار الموقع يحسن مشياً إلا إذا
السـوء لا ضـربـا
ولم أجد عزة لا الدين لما اعتبرت
الـخـلائق إل والحسبا
قد يرزق الخافض شد بعنسٍ رحلاً ولا
المقيم وما قـتـبـا
ويحرم الرزق ذو رحل ومن لا يزال
المطية والر مغتربـا

وكان الحكم بن عبدلٍ أعرج، فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أعرج أيضاً وكان صاحب شرطته أعرج كذلك فقال:

ألق العصا ودع التعارج عملاً فهذي دولة
والتمس العـرجـان
لأميرنا وأمير شرطتنـا لكليهما يا قـومـنـا
مـعـاً رجـلان
فإذا يكون أمـيرنـا وأنا فجئ بالرابع
ووزيرنـا الشـيطـان

وقال في بشر بن مروان:

ولو شاء بشر كان من طماطم سود أو
دون بابـه صقالبة حمـر
ولكن بشراً سهل يكون لبشرٍ بعدها

الباب لـلـتـي الحمد والأجر
بعيد مراد العين ما رد حذار الغواشي باب
طـرفـه دارٍ ولا ستر

الحكم بن معمر بن قنبر

ابن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب الخضري شاعر إسلامي، وكان مع تقدمه في الشعر سجاعاً كثير السجع، وكان هجاءً خبيث اللسان، وكان بينه وبين الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجاة ومواقف كان الغلب في أكثرها على الرماح فتهاجيا زماناً طويلاً، ثم كف ابن ميادة وسلأله الصلح، فصالحه الحكم. وكان أول ما بدأ الهجاء بينهما أن ابن ميادة مر بالحكم وهو ينشد في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعةٍ من الناس قوله:

لمن الديار كأنها لم تـعـمـر بين الكناس وبين برق محجر?

حتى انتهى إلى قوله:

يا صاحبي ألم تشـمـا بـارقـاً نضح الصراد به فهضب المنحر
قد بت أرقبه وبات مـصـعـداً نهض المقيد في الدهاس الموقر

فقال له ابن ميادة: ارفع إلى رأسك أيها المنشد، فرفع الحكم رأسه فقال له: من أنت? قال: أنا الحكم ابن معمرٍ الخضري، قال:: فوالله ما أنت في بيت حسبٍ ولا في أرومة الشعر، فقال له الحكم: وماذا عبت في شعري? قال: عبت أنك أدهست وأوقرت. قال له الحكم: ومن أنت? قال: أنا ابن ميادة. قال: ويحك فلم رغبت عن أبيك وانتسب إلى أمك راعية الضأن، وأما إدهاسي وإيقاري، فإني لم آت خيبر لا ممتاراً ولا متحاملاً وما عدوت أن حكيت حالك وحال قومك، فلو سكت عن هذا كان خيراً لك وأبقى عليك، فلم يفترقا إلا عن هجاء.

وقال الحكم يهجو أم جحدرٍ بنت حسانٍ المرية وكانت فضلت ابن ميادة عليه:

ألا عوقبت في قبرها ولا لقيت إلا الكلاليب أم جـحـدرٍ والجمـرا
كما حادثت عبداً لئيماً من الزاد إلا حشو وخـلـتـه رياطته صفرا
فيا ليت شعري هل أكنك أو ذاقت مغابنك رأت أم جحدرٍ الشقـرا?
وهل أبصرت أرساغ قفا أم رماحٍ إذا ما أبرد أو رأت استقت دفـرا
وبالغمر قد صرت عبيداً فسل عن ذاك لقاحاً وحادثـت نيان والغمرا

ومما قاله الحكم في ابن ميادة:

خليلي عوجا حييا الدار وقولا لها سقياً
بـالـجـفـر لعصرك من عصـر
وماذا تحيي من بها حرجف تذري
رسـومٍ تـلاعـبـت بأذيالها الـكـدر
إذا يبست عـيدان وعيداننا تغشى على
قـومٍ وجـدتـنـا الورق الخضـر
إذا الناس جاؤوا بقرمٍ يساوي رأسـه
بالقـروم أتـيتـهـم غـرةً الـبـدر
لنا الغور والأنجاد عليكم وأيام المـكـارم
والخيل والـقـنـا والـفـخـر
فيامر قد أخزاك في من اللؤم خلات يزدن
كـل مـوطـنٍ على العشـر
فمنهن أن العبد وبئس المحامي العبد
حـامـي ذمـاركـم عن حوزة الثغر
ومنهن أن لم تمسحوا جوادٍ ولم تأتوا حصاناً
وجـه سـابـقٍ على طـهـر
ومنهن أن المـيت فيقسو على دفانه وهو
يدفـن مـنـكـم في القـبـر
ومنهن أن الجار يسكن بريئاً فيرمى بالـخـيانة
وسـطـكـم والـغـدر
ومنهن أن عذتـم وبئس المحامي أنت يا
بـأرقـط كـودنٍ ضرط الجفر
ومنهن أن الشـيخ يدب إلى الجارت
يوجـد مـنـكـم محدودب الظهـر
يبيت ضباب الضغن وإن هي أمست دونها
يخشى احتراشها ساحل البحـر

أبو الحكم بن غلندو الإشبيلي

ولد بإشبيلية وبها نشأ، وكان أديباً شاعراً جيد الشعر متفنناً بصناعة الطب، خدم بها المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن سعيدٍ فحظي عنده وقدم، وكان أبوه أيضاً في خدمة أبي يعقوب والد المنصور، وكان أبو الحكم حسن الحظ يكتب الخطين الأندلسي والمشرقي، وتوفي بمراكش سنة سبعٍ وثمانين وخمسمائةٍ. ومن شعره:

ماست فأزرت وأتتك تخطر في غلالة

بالغصون الميس سندس
وتبرجت جنح الظلام شمس تجلت في
كـأنـهـا دياجي الحندسِ
تخـتـال بـين لـداتـهـا بدراً بـدا بـين الـجـواري
فـتـخـالـهـــا الـكـــنـــس
أرجـت بـريـاهـا الـصـبـا أنـفـاسـهـا والـصـبـح لـم
فـتـضـوعـــت يتـنـفـــس
وسرت إلينا في ملاءة سندسٍ
بترفلٍ وتدللٍ وتبهنس
وتزلفت والليل مسبل جنحه والـجـو داجٍ مـن ظـلام
الـحـــنـــدس

وله:

لئن غبت عن عيني فأنت بقلبي حـاضـر
وشط بك النوى وقـريب
خيالك في وهمي ومثواك في قلبي فأين
وذكرك في فمي تـغـيب?

حكيم بن عياش المعروف بالأعور الكلبي

شاعر مجيد كان منقطعاً إلى بني أمية بدمشق وسكن المزة بها ثم انتقل إلى الكوفة، وكان بينه وبين الكميت بن زيدٍ مفاخرة. وقدم أسامة خال الأعور على معاوية فقال له: اختر لك منزلاً فاختار المزة واقتطع فيها هة وعترته، فقال الأعور:

إذا ذكرت أرض لقومٍ فبلدة قومي تزدهـي
بـنـعـمةٍ وتـطـيب
بها الدين والإفضال فمن ينتجعها للـرشـاد
والخير والندى يصـيب
ومن ينتجع أرضاً سيندم يوماً بـعـدهـا
سواها فـإنـه ويخـيب
تأتي بها خالي أسـامة وكان لخير العالمـين
مـنـزلاً حـبـيب
حبيب رسول الله له ألفة مـعـروفة
وابـن رديفـه ونـصـيب
فأسكنها كلباً بها منزل رحب الجناب
فأضـحـت بـلـيدة خصيب

فنصف على برٍ فسيحٍ رحـابـه ونصف على بحرٍ أغر يطـيب

وكان الأعور يتعصب لليمن على مضر فقال:

ما سرني أن أمي من بني أسدٍ وأن ربي نجاني من الـنـار
وأنهم زوجوني من بناتـهـم وأن لي كل يومٍ ألف دينـار

وجاء رجل إلى عبد الله بن جعفرٍ فقال له: يابن رسول الله هذا حكيم الكلبي ينشد الناس هجاءكم بالكوفة فقال: هل حفظت منه شيئاً؟ قال: نعم وأنشده:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخـلةٍ ولم نر مهدياً على الجذع يصلب
وقستم بعثمانٍ علـياً سـفـاهةً وعثمان خير من عليٍ وأطـيب

فرفع عبد الله يديه إلى السماء وهما ينتفضان رعدةً فقال: اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلباً، فخرج حكيم من الكوفة فأدلج فافترسه الأسد فأكله، وأتى البشير عبد الله وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخر لله تعالى ساجداً وقال: الحمد لله الذي صدقنا وعده.

حماد بن عمر بن يونس بن كليبٍ

الكوفي المعروف بحماد عجردٍ مولى بني سوءة بن عامر بن صعصعة، شاعر مجيد من طبقة بشارٍ، وكان بينهما مهاجاة، وهو أحد الحمادين الثلاثة، قال إبراهيم العامري: كان بالكوفة ثلاثة نفرٍ يقال لهم الحمادون: حماد عجردٍ، وحماد الراوية، وحماد بن الزبرقان، يتنادمون ويتعاشرون معاشرةً جميلةً ويتناشدون الأشعار، وكانوا كأنهم نفس واحدة، وكان يرمون بالزندقة جميعاً، وحماد عجردٍ من مخضرمي الدولتين، نادم الوليد بن يزيد ولم يشتهر إلا في الدولة العباسية، قدم بغداد في أيام المهدي هو ومطيع بن إياس ويحيى بن زيادٍ فاشتهروا بها، وكان حماد ماجناً ظريفاً متهماً في دينه، وكان أحد الأئمة ينتقصه فلما بلغه ذلك كتب إليه:

إن كان نسكك لا يتم بغير شتمي وانتقاصي
فاقعد وقم بي حيث شئت لدى الأداني والأقاصي
فلطالما زكيتني وأنا المقيم على المعاصي
أيام تأخذها وتعطى في أباريق الرصاص

وسبب تسميته بعجردٍ أن إعرابياً مر به وهو غلام يلعب مع الصبيان في يومٍ شديد البرد وهو عريان فقال له الأعرابي: تعجردت يا غلام فسمي عجرداً، والمتعجرد: المتعري.
وكتب لأبو النضير الجمحي الشاعر إلى حمادٍ يسأله عن حاله في الشراب ومن يعاشر عليه، فكتب إليه حماد:

أبا النضير اسمع كلامـي ولا سألت ما حالي وما حال مـن يظهر نسكاً ومتى يفـتـرص
تجعل سوى الإنصاف في بالكا لم يلق إلا عابداً نـاسـكـا? يكن علـي عـادياً فـاتـكـا

ومرض حماد فعاده أصدقاؤه جميعاً إلا مطيع بن إياسٍ، فكتب إليه حماد:

كفاك عيادتي من كان يرجـو فإن تحدث لك الأيام سقـمـاً يكن طول التأوه منك عندي
ثواب الله في صلة المريض يحول جريضه دون القريض بمنزلة الطنين من البعوض

ومن شعر حماد عجردٍ:

إني أحبك فاعلمي حباً أقـل قـلـيلـه
إن لم تكوني تعلمينا كجميع حب العالمينا

وقال:

فأقسمت لو أصبحت في قبضة الهـوى ولكن بـلائي مـنـك أنـك نـاصـح
لأقصرت عن لومي وأطنبت في عذري وأنـك لا تـدري بـأنـك لا تــدري

وقال في أبي العباس الطوسي:

أرجوك بعد أبي العباس إذ بـانـا فأنت أكرم من يمشي على قـدمٍ لو مج عودٌ على قومٍ عصارتـه
يا أكرم الناس أعزاقاً وعـيدانـا وأنضر الناس عند المحل أغصانا لمج عودك فينا المسك والبـانـا

وكان بين حمادٍ وبشار بن بردٍ ومطيع بن إياسٍ أهاجٍ كثيرة أعرضنا عن ذكرها لما فيها من السخف والمجون وتوفي حماد عجردٍ بالبصرة سنة إحدى وستين ومائةٍ في أصح الروايات.

حماد بن سلمة بن دينارٍ

الإمام أبو سلمة البصري، شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه، أخذ عنه يونس بن حبيبٍ النحوي، وسئل أيما أسن أنت أم حماد؟ فقال: حماد أسن مني، ومنه تعلمت العربية. وكان سيبويه يستملي على حمادٍ فقال حماد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:)ما من أحدٍ من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عنه علماً ليس أبا الدرداء(. فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء. فقال له حماد: لحنت يا سيبويه، ليس أبا الدرداء. فقال: لا جرم لأطلبن علماً لا تلحنني فيه أبداً، فطلب النحو ولزم الخليل بن أحمد، وكان أبو عمرو الجرمي يقول: ما رأيت فقيهاً قط أفصح من عبد الوارث إلا حماد بن سلمة. وكان حماد يقول: من لحن في حديثي فقد كذب علي. وكان يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم. وكان مع تقدمه في العربية إماماً في الحديث ثقةً، ثبتاً حتى قالوا: إذا رأيت الرجل يقع في حمادٍ فاتهمه على الإسلام.

روى حماد عن ثابتٍ وأبي عمران الجوني وعبد الله بن كثير وابن مليكٍ وخلقٍ. وروى عنه مالك وسفيان وشعبة وابن مهدي وعفان وأمم. وقال عمرو بن سلمة: كتبت عند حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديثٍ. وقال ابن المديني: كان عند يحيى بن الضرير عن حماد عشرة آلاف حديثٍ. وقال يحيى بن معينٍ: هو أعلم الناس بثابتٍ. وقال أحمد بن حنبل: حماد أعلم الناس بحديث خاله حميدٍ الطويل وأثبتهم فيه. وقال أحمد ويحيى: هو ثقة الناس. وقال رجل لعفان: أحدثك عن حمادٍ؟ قال: من حماد ويلك؟ قال: ابن سلمة، قال: هلا هلا قلت أمير المؤمنين. وقال ابن عديٍ: حماد إمام جليل، وهو مفتي أهل البصرة مع سعيد بن أبي عروبة.

وقال إسحاق بن الطباع: قال لي سفيان بن عيينة: العلماء ثلاثة: عالم بالله وبالعلم، وعالم بالله ليس بعالمٍ بالعلم، وعالم بالعلم ليس بعالمٍ بالله. قال ابن الطباع: الأول كحماد بن سلمة، والثاني مثل أبي الحجاج والثلث كأبي يوسف.

وقال ابن المديني: من سمعتموه يتكلم في حمادٍ فاتهموه. واحتج مسلم بحماد بن سلمة في أحاديث عدةٍ في الأصول من حديثه عن ثابتٍ، وأخرج له الأربعة إلا البخاري، فنكت ابن حيان على البخاري، ولم يسمه، حيث احتج بابن دينارٍ وابن عياشٍ وابن أخي الزهري وترك حماداً فقال: لم ينصف من جانب حديث حمادٍ، واحتج بأبي بكر بن عياش وعبد الرحمن بن دينارٍ وابن أخي الزهري. وقالحماد بن زيدٍ: ما كنا نرى أحداً يتعلم بنيةٍ غير حمادٍ، وما نرى اليوم من يعلم بنيةٍ غيره. وقال وهيب: كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا، وكان إماماً في العربية فصيحاً مفوهاً، مقرئاً فقيهاً، شديداً على المبتدعة، وله تآليف، ولم يكن له كتاب غير كتاب قيس بن سعدٍ، يعني كان يحفظ علمه. مات حماد في ذي الحجة سنة سبع وستين ومائةٍ، وقيل سنة تسع وستين في خلافة المهدي، ورثاه اليزيدي بأبياتٍ أولها:

يا طالب النحو ألا فابكه بعد أبي عمرو وحماد

يعني حماد بن سلمة وأبا عمرو بن العلاء.

حماد بن ميسرة بن المبارك

ابن عبيدٍ الديلمي، مولى بني بكر بن وائلٍ، وقيل مولى مكنف بن زيد الخيل، الكوفي المعروف بالرواية. قال المدائني: كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها، وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره، فيفد عليهم ويسألونه عن أيام العرب

وعلومها، ويجزلون صلته وعن الهيثم بن عديٍ صاحبه وروايته قال: قال الوليد بن يزيد لحمادٍ الراوية: بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال: بأني أروي لكل شاعرٍ تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لأكثر منهم ممن أعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به، ثم لا أنشد شعراً لقديمٍ ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث. فقال: إن هذا لعلم وأبيك كبير، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيراً، ولكني أنشدك على كل حرفٍ من حروف المعجم مائة قصيدةٍ كبيرةٍ، سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام. قال: سأمتحنك في هذا وأمره بالإنشاد، فأنشد حتى ضجر الوليد، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلين وأخبر الوليد بذلك، فأمر له بمائة ألف درهمٍ.

وروى عن حمادٍ الراوية أنه قال: كنت منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك، وكان أخوه هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إليه إلى هشامٍ خفته، فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سراً، فلما لم أسمع أحد يذكرني أمنت فخرجت وصليت الجمعة في الرصافة، ثم جلست عند باب الفيل، فإذا شرطيان قد وقفا علي فقالا: يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر، فقلت في نفسي: هذا الذي كنت أحذره، ثم قلت لهما: هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إلى الأمير؟ فقالا: ما إلى ذلك سبيل، فاستسلمت إليهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر فسلمت عليه، فرمى إلي كتاباً فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم" من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد: فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حمادٍ الراوية من يأتيك به غير مروعٍ ولا متعتعٍ وادفع إليه خمسمائة دينارٍ وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلةً إلى دمشق، فأخذت الدنانير ونظرت فإذا جمل مرحول،

فركبته وسرت اثنتي عشرة ليلةً حتى وافيت باب هشامٍ، فاستأذنت فأذن لي فدخلت عليه في دارٍ قوراء مفروشةٍ بالرخام. وهو في مجلسٍ مفروشٍ بالرخام بين كل رخامتين قضيب ذهبٍ، وهشام جالس على طنفسةٍ حمراء، وعليه ثياب خزٍ حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهبٍ يقلبه بيده فيفوح، فسلمت عليه بالخلافة فرد عليَّ السلام واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله، فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط وفي أذني كل واحدةٍ منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان، فقال لي: كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟ فقلت: بخيرٍ يا أمير المؤمنين. قال: أتدري فيم بعثت إليك؟ قلت: لا، قال: بعثت إليك بسبب بيتٍ خطر ببالي لا أعرف قائله. قلت: وما هو؟ قال:

ودعوا بالصبوح يوماً قينة في يمينها إبريق

فقلت: هذا يقوله عدي بن زيدٍ المبادي في قصيدةٍ له، قال: فأنشدنيها فأنشدته:

بكر العاذلون في ح يقولون لي ألا
وضح الـب تستـفـيق?
ويلومون فيك يا ابنة ه و القلب عندكـم
عبـد الـل مـوهـوق
لست أدري إذ أكثروا أعدو يلومـنـي أم
العذل فيها صـديق?
زانها حسنها وفـرع وأثيث صلت الجـبـين
عـمـيم أنـيق
وثنـايا مـفـلـجـات لا قصار ترى ولا هـن
عـذاب روق
ودعوا بالصبوح يوماً قينة فـي يمـينـهـا
فجـاءت إبـريق
قدمته على عقارٍ ديك صفى سلافها
كـعـين الـد الـراووق
مرة قبل مزجـهـا فـإذا مزجت لذ طعمها مـن
مـا يذوق
وطفا فوقها فقـاقـيع در صغار يثيرها

كـالـد التصـفـيق
ثم كان المزاج مـاء لا صرىً آجن و لا سـحـابٍ مطـروق

قال: فطرب هشام ثم قال: أحسنت يا حماد. يا جارية اسقيه، فسقتني شربةً ذهبت بثلث عقلي وقال: أعد فأعدت فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للجارية الأخرى: اسقيه، فسقتني شربةً ذهبت بثلث عقلي الثاني، فقلت: إن سقتني الثالثة افتضحت، فقال لي هشام: سل حاجتك، قلت: كائنةً ما كانت؟ قال: نعم، قلت: إحدى الجاريتين، فقال: هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما، ثم قال للأولى: اسقيه، فسقتني شربةً لم أعقل بعدها حتى أصبحت، فإذا بالجاريتين عند رأسي وعدةٍ من الخدم مع كل واحد منهم بدرة، فقال لي أحدهم: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هذه فأصلح بها شأنك، فأخذتها والجاريتين وانصرفت إلى أهلي. قال الهيثم بن عدي: ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حمادٍ، وقال الأصمعي: كان حماد أعلم الناس إذا نصح يعني إذا لم يزد وينقص في الأشعار والأخبار، فإنه كان متهماً بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب، وقال المفضل الضبي: قد سلط على الشعر من حمادٍ الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً، فقيل له: وكيف ذلك؟ أيخطئ في روايةٍ أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجلٍ، ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالمٍ ناقدٍ وأين ذلك؟. وذكر أبو جعفرٍ أحمد بم محمدٍ النحاس أن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقةً على الكعبة.

ولحمادٍ أخبار طوال اقتصرنا على ما ذكرناه منها، وكانت

ولادته في سنة خمسٍ وتسعين، وتوفي سنة خمسٍ وخمسين ومائةٍ. رثاه ابن كناسة الشاعر بقوله:

لو كان ينجي من الردى حذر نجاك مما أصابك الـحـذر

يرحمك الله من أخـي ثـقةٍ لم يك فس صفو وده كـدر

فهكذا يفسد الالزمـان ويف نى فـيه ويدرس الأثــر

حماس بن ثاملٍ مولى عثمان بن عفان

شاعر إسلامي من مخضرمي الدولتين أدرك أيام السفاح، وكان يوماً في مجلسه فذكر إسماعيل بن عبد الله القسري بني أمية فذمهم وسبهم، فقال حماس للسفاح: يا أمير المؤمنين، أيسب هذا بني عمك وعمالهم وهو رجل اجتمع والخريت في نسبٍ؟ إن بني أمية لحمك ودمك فكلهم ولا تأكلهم، فقال له: صدقت، وأمسك إسماعيل فلم يحر جواباً. ومن شعر حماس:

الله نجى قلوصي بعد ما علقـت من الأمير ومن عمرو بن سيار

بحلفةٍ من يمينٍ غـير صـادقةٍ حلفتها ثم لم تلحقن بـالـنـار

إحلف يميناً ما خفت مضـلـعةً وتب إلى غافرٍ للذنب غـفـار

حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب

الخطابي، من ولد زيدٍ بن الخطاب أبو سليمان البستي، نسبة إلى مدينة بست في بلاد كابل، كان محدثاً فقيهاً أديباً شاعراً لغوياً، أخذ اللغة والأدب عن أبي عمر الراهد، وأبي علي إسماعيل الصفار، وأبي جعفرٍ الزاز وغيرهم من علماء العراق، وتفقه بالقفال الشاشي، وروى عنه الحافظ أبو عبد الله بن البيع المعروف بالحاكم النيسابوري، والحافظ المؤرخ عبد الغفار بن محمدٍ الفارسي صاحب السياق لتاريخ نيسابور، وأبو القاسم عبد الوهاب الخطابي وخلق.

قال الحافظ أبو المظفر السمعاني: كان حجةً صدوقاً رحل إلى العراق والحجاز، وجال في خراسان وخرج إلى ما وراء النهر. وقال الثعالبي: كان يشبه في عصرنا بأبي عبيدٍ القاسم في عصره علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً. وكان أبو عبيدٍ مفحماً. ولأبي سليمان كتب من تآليفه أشهرها وأسيرها: كتاب غريب الحديث، و وهو غاية الحسن والبلاغة، وله أعلام السنن في شرح صحيح البخاري، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود، وكتاب إصلاح غلط المحدثين، وكتاب العزلة، وكتاب شأن الدعاء، وكتاب الشجاج وغير ذلك. ولد في رجبٍ سنة تسع عشرة وثلاثمائةٍ، وتوفي ببلده بست سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائةٍ، وقيل سنة ستٍ وثمانين، والأول أصح. ومن شعره:

إذا خلوت صفا ذهني وعارضني خواطر كطراز البرق في الظلم

وإن توالى صياح الناعقين علـى أذني عرتني منه لكنة العـجـم

وقال:

لعمرك ما الحياة وإن حرصنا عليها غير ريحٍ مستـعـاره
وما للـريح دائمةً هـبـوب ولكن تارةً تجـري وتـاره

وقال:

وما غمة الإنسان من شقة النوى ولكنها والله من عدم الشـكـل
وإني غريب بين بست وأهلهـا وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وقال:

تسامح ولا تستوف حـقـك كـلـه وأبق فلم يستـقـص قـط كـريم
ولا تغل في شيءٍ من الأمر واقتصد كلا طرفي قصـد الأمـور ذمـيم

وقال:

قد أولع الناس بالتلاقي والمرء صب إلى هواه
وإنما منهم صـديقـي من لا يراني ولا أراه

وقال:

شر السباع الضواري دونه وزر والناس شرهم ما دونـه وزر
كم معشرٍ سلموا لم يؤذهم سبع وما ترى بشراً لم يؤذه بـشـر

وقال:

ما دمت حياً فدار النـاس كـلـهـم فإنمـا أنـت فـي دار الـمـداراة
من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى عما قلـيل نـديمـاً لـلـنـدامـات

حمدان بن عبد الرحيم الأثاربي

كان طبيباً أديباً شاعراً دائباً في طلب العلم، يحضر مجالس العلماء وأهل الأدب ويصحب من لقيه منهم ويلازمه. مات بعد سنة أربعٍ وخمسين وخمسمائةٍ. ومن شعره:

لا جلق رقن لي معالمـهـا ولا أطبتني أنهار بطـنـان
ولا ازدهتني بمنبجٍ فـرص راقت لغيري من آل حمدان
لكن زماني بالجزر ذكرنـي طيب زماني وفيه أبكانـي
يا حبذا الجزر كم نعمت بـه بين جنـانٍ ذوات أفـنـان

واجتاز بحمدان في بعض السنين الأمير مهند الدولة ابن الخشيني فأنزله في الأثارب وأقام عنده أشهراً، فلما وافى هلال رمضان قال الأمير:

لله من قمرٍ رآني مـعـرضـاً عنه وإعراضي حذار وشاتـه
طلع الهلال فقلت أعمل حـيلةً في قبلةٍ أجني جنى وجنـاتـه
فمضى وقال تصدين لترى الهلال رقي إلى قمر الهوى درجاته
فأنا وحق هواك أبعد مرتـقـىً منه وتأثـيري كـتـأثـيراتـه
أنا كامل أبداً وذلـك نـاقـص فاجهد بوصفي ممعناً وصفاتـه

حمدة ويقال حمدونة

بنت زياد بن تقيٍ من قرية بادي من أعمال وادي آشٍ، كان أبوها زياد مؤدباً وكانت أديبةً نبيلةً شاعرةً ذات جمالٍ ومالٍ مع العفاف والصون، إلا أن حب الأدب كان يحملها على مخالظة أهله مع نزاهة موثوقٍ بها، وكانت تلقب بخنساء المغرب وشاعرة الأندلس. وروى عنها أبو القاسم بن البراق قال: أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها وقد خرجت متنزهةً بالرملة من نواحي وادي آشٍ، فرأت ذات وجهٍ وسيمٍ أعجبها فقالت:

أباح الدمع أسراري بـوادي له في الحسن آثـار بـوادي
فمن نهرٍ يطوف بكل روضٍ ومن روضٍ يرف بكل وادي
ومن بين الظباء مهـاة إنـسٍ سبت لبىً وقد ملكت فؤادي

لها لحـظ تـرقـده لأمـر وذاك الأمر يمنعني رقـادي
إذا سدلت ذوائبها عـلـيهـا رأيت البدر في أفق السـواد
كأن الصبح مات له شـقـيق فمن حزن تسربل بالسـواد

وقد نسب إليها أهل المغرب الأبيات الشهيرة المنسوبة للمنازي الشاعر وهي:

وقانا لفحة الرمـضـاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنـا عـلـينـا حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظـمـإٍ زلالاً ألذ من المـدامة لـلـنـديم
يصد الشمس أنى واجهتـنـا فيحجبها ويأذن لـلـنـسـيم
يروع حصاه حاليةً العـذارى فتلمس جانب العقد النظـيم

أجمع أدباء المشرق على نسبة هذه الأبيات للمنازي وهو أحمد بن يوسف المنازي المتوفي سنة سبعٍ وثلاثين وأربعمائةٍ، وأنه عرضها على أبي العلاء المعري فجعل المنازي كلما أنشده المصراع الأول من كل بيتٍ سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثاني كما نظمه المنازي، ونسبها أدباء الأندلس ومؤرخوها إلى حمدة وجزم بذلك طائفة منهم، وفيهم من رواها لها قبل أن يخلق المنازي والله تعالى أعلم. ومن شعر حمدة أيضاً:

ولما أبى الواشون إلا فـراقـنـا وما لهم عندي وعندك من ثـار
وشنوا على أسماعنا كـل غـارةٍ وقل حماتي عند ذاك وأنصـاري
غزوتهم من مقلتـيك وأدمـعـي ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

حمزة بن أسد بن علي بن محمدٍ

أبو يعلى المعروف بابن القلانسي التميمي الأديب الشاعر المؤرخ، كان من أعيان دمشق ومن أفاضلها المبرزين ولي رياسة ديوانها مرتين، وبها توفي سنة خمسٍ وخمسين وخمسمائةٍ. وله تاريخ للحوادث ابتدأ به من سنة إحدى وأربعين وأربعمائةٍ إلى حين وفاته، وكانت له عناية بالحديث، وله كتب عليها سماعه، ومن شعره:

إياك تقنط عند كل شـديدةٍ فشدائد الأيام سوف تهـون

وانظر أوائل كل أمرٍ حادثٍ أبداً فما هو كائن سيكـون

وقال أيضاً:

يا من تملك قلبي طرفـه فـغـدا معذباً بـين أشـواقٍ وأشـجـان

أمنن بوصلٍ لعلي أستـجـير بـه من سطوة النين في صدٍ وهجران

مالي منيت بممنـوعٍ يعـذبـنـي ولا يزيد فؤادي غير أحـزانـي

لا برد الله قلبي مـن تـحـرقـه إن شبت حبي له يوماً بسـلـوان

إذا ترنم قمـري عـلـى فـنـنٍ في ليلةٍ زاد في حزني وأشجاني

وكم أسر غرامي ثـم أعـلـنـه وليس يخفى بكم سريٍ وإعلانـي

لا برد الله شوقي إن نويت لـكـم تغيراً مـا بـأشـكـال وألـوان

وقال:

يا نفس لا تجزعي من شدةٍ عظمت وأيقني من إله الخلق بالـفـرج

كم شدةٍ عرضت ثم انجلت ومضت من بعد تأثيرها في المال والمهج

حمزة بن بيضٍ الحنفي الكوفي

أحد بني بكر بن وائلٍ، شاعر مقدم مجيد من شهراء الدولة الأموية، كان منقطعاً إلى المهلب وولده، ثم انقطع إلى الأمير بلال بن أبي بردة، ووفد على سليمان بن عبد الملك وامتدحه قبل الخلافة فقال:

أتينا سـلـيمـان الأمـير وكان أمرأً يحبـى

نـزوره ويكـرم زائره
إذا كنت بالنجوى بـه فلا الجود مخليه ولا
مـتـفـرداً البخل حاضره
كفى سائليه سؤلهم عن البخل ناهيه
من ضـمـيره وبالجود آمـره?

ودخل عليه وعنده يزيد بن المهلب فقال:

حاز الخلافة والداك ما بين سخطة ساخطٍ
كلاهمـا أو طائع
أبواكِ ثم أخوك أصبح وعلى جبينك نورملكٍ
ثالـثـاً رابـع
سريت خوف بني نظروا السبيل بسم
المهلب بعدما موتٍ ناقع
ليس الذي أولاك ربك عند الأله وعندهم
منـهـم بالـضـائع

فأمر له بخمسين ألف درهمٍ، وقال في سليمان أيضاً:

لم تدر ما لا فلست عمرك ما عشت آخر
قائلـهـا الأبد
ولم تؤامر بتلك فيها وفي أختها ولم
مـمـتـرياً تـكـد
وهي على أنها قل حملاً عليك مـن
الخفـيفة أث أحـد
لما تعودت من نعم ألذ في فيك من جني
فنـعـم الشهد
إلا يكن عاجل لنا لئلا تـقـول لا فـعـد
تـعـجـلـه
وما تعد في غدٍ يكن وافد للسائلـين خـير
غدك ال غـد

ودخل على يزيد بن المهلب يوم جمعةٍ وهو يتأهب للمضي إلى المسجد وجاريته تعممه فضحك، فقال له يزيد: مم تضحك? قال: من رؤيا رأيتها، إن أذن الأمير قصصتها، قال قل: فأنشأ يقول:

رأيتك في المنام على بنفسجاً وقضيت
سننت خزاً ديني

فصدق يا هديت اليوم رؤيا رأتها في المنام كذا عيني

قال: كم دينك؟ قال: ثلاثون ألفاً، قال: قد أمرنا لك بها ومثلها، ثم قال: يا غلمان فتشوا الخزائن فجيئوه بكل جبة خزٍ بنفسجٍ تجدونها فجاؤوا بثلاثين جبةً، فنظر إليه يلاحظ الجارية فقال: يا جارية عاوني عمك على قبض الجباب، فإذا وصلت إلى منزله فأنت له، فأخذها والجباب وانصرف، وقال في يزيد بن المهلب أيضاً:

ومتى يؤامر نفسه في أن تجود لدى مـسـتـخـلـياً السؤال تقول جد?
أة أن يعود لـنـا بعد الكرامة والحباء بـنـفـحة نـائلٍ تـقـول عـد
أو في الزيادة بعد للمستزيد من العفـاة جزل عـطـائه تـقـول زد
أو في الوفود على بخلت أقاربه علـيه فقـيرٍ مـوبـقٍ تـقـول فـد
أو في ورود شريعةٍ بالمشرفية والرمـاح مـحـفـوفةٍ تـقـول رد
ونعم بفـيه ألـذ حـين طعماً من العسل يقـولـهـا المدوف بماء ورد

ولما خرج زيد بن عليٍ على هشامٍ منع أهل مكة والمدينة أعطياتهم سنةً، فقال حمزة بن بيضٍ في ذلك:

وصلت سماء الضر زعمت سماء الضر عنا بالضر بعد ما ستقلـع
فليت هشاماً كان حياً وكنا كما كنا نرجى يسـوسـنـا ونـطـمـع

ولما ولي أبو لبيدٍ البجلي - ابن أخت خالدٍ القسري - أصبهان، وكان رجلاً متنسكاً خرج حمزة بن بيضٍ في صحبته فقيل له: إن مثل حمزة لا يصحب مثلك، لأنه صاحب كلابٍ ولهوٍ، فبعث إليه ثلاثة آلاف درهمٍ وأمره بالانصراف فقال:

يابن الوليد المرتجى ومن يجلي الحندس سـيبـه الحالكـا
سبيل معروفك مني بالٍ فما بالي على عـلـى بالـكـا?

حشو قميصي شاعر مفـلـق والجود أمسى حشو سربالكـا
يلومك الناس على صحبـتـي والمسك قد يستصحب الرامكا
إن كنت لا تصحب إلا فتـىً مثلك لن تؤتى بأمـثـالـكـا
إني امرؤ حيث يريد الهـوى فعد عن جهلي بإسلامـكـا

قال له أبو لبيدٍ: صدقت وقرب منزلته. وقال النضربن شميلٍ دخلت على المأمون بمرو فقال: يا نضر أنشدني أخلب بيتٍ للعرب، قلت هو قول ابن بيضٍ في الحكم بن مروان:

تقول لي والعيون هـاجـعة أقم علينا يوماً فـلـم أقـم
أي الوجوه انتجعت? قلت لها وأي وجهٍ إلا إلأى الحكـم?
متى يقل حاجبـاً سـرادقـه هذا ابن بيضٍ بالباب يبتسـم
قد كنت أسلمت قبل مقتبـلاً والآن إذ حل فاعطني سلمي

فقال المأمون: لله درك! فكأنما شق لك عن قلبي. وأودع حمزة عند ناسكٍ ثلاثين ألفاً، ومثلها عند نباذٍ، فأما الناسك فبنى بها داراً وزوج بناته فانفقها وجحدها، وأما النباذ فأدى إليه ماله، فقال في ذلك:

ألا لا يغرك ذو سـجـدةٍ يظل بهـا دائمـاً يخـدع
كأن بجـبـهـتـه حـبةً تسبح طوراً وتستـرجـع
وما للتقى لزمت وجهـه ولكن ليغتر مسـتـودع?
ولا تنفرن من أهل النبـيذ وإن قيل يشرب لا يقلـع
فعندك علم بما قد خـبـر ت إن كان علمي بها ينفع
ثلاثون ألفاً حواها السجود فليست إلى أهلها ترجـع

بنى الدار من غير أمواله فأصبح في بيتـه يرتـع
مهائر من مالهم قد حـرم ن ظلماً فهم سغب جـوع
وأدى أخو الكأس ما عنده وما كنت في رده أطمع

ونزل بقوم فأساؤوا لبغلته وطرحوا لبغلته تبناً رديئاً فعافته، فأشرف عليها فشحجت حين رأته فقال:

إحسبيها ليلةً أدلـجـتـهـا فكلي إن شئت تبناً أو ذري
قد أتى مولاك خبز يابـس فتغدى فتغدي واصبـري

ولحمزة بن بيضٍ أخبار حسان مع عبد الملك بن مروان وابنه وآل المهلب يطول ذكرها. توفي سنة ست عشرة ومائةٍ، وقيل عشرين ومائةٍ، والأول أصح.

حمزة بن حبيب بن عمارة

ابن إسماعيل الإمام أبو عمارة التيمي تيم الله ولاءً وقيل نسباً، الكوفي المعروف بالزيات، وقيل له الزيات لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة: وهو الإمام الحبر شيخ القراء وأحد السبعة الأئمة، ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن، فيحتمل أن يكون رأى بعضهم. أخذ القراءة عرضاً عن الأعمش والإمام جعفر بن محمدٍ الصادق وابن أبي ليلى، وحمران بن أعين. وروى عن الحكم وعدي ابن ثابت وحبيب بن أبي ثابتٍ وطلحة بن مطرفٍ. وأخذ القراءة عنه إبراهيم بن أدهم، وسفيان الثوري، وشريك بن عبد الله، وعلي بن حمزة الكسائي وغيرهم. وروى عنه يحيى ابن آدم، وحسين الجعفي وخلق، وإليه المنتهى في الصدق والورع والتقوى، وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصمٍ والأعمش، وكان إماماً حجةً ثقةً ثبتاً رضياً قيماً بكتاب الله، بصيراً بالفرائض، خبيراً بالعربية، حافظاً للحديث، عابداً زاهداً خاشعاً قانتاً لله ورعاً عديم النظير.

قال الأعمش يوماً وقد رأى حمزة مقبلاً:)وبشر المحسنين(وقال ابن فضيلٍ: ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة. وعن شعيب بن حربٍ أنه قال: ألا تسألوني عن الدر يعني قراءة حمزة? وكان شيخه إذا رآه مقبلاً يقول: هذا حبر القرآن. وقال سفيان الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض. وقال له أبو حنيفة: شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض. وقد وثقه يحيى بن معينٍ وقال: حسن الحديث عن ابن إسحاق يعني ابن أبي ليلى، ووثقه آخرون. وقال النسائي: ليس به بأس. وأما ما ذكر عن أحمد بن حنبلٍ وأبي بكر بن عياشٍ ويزيد بن هارون وعبد الرحمن بن مهديٍ وعبد الله بن إدريس وحماد بن زيدٍ من كراهتهم لقراءة حمزة لما فيها من المد المفرط والسكت واعتبار الهمزة في الوقف والإمالة ونحو ذلك من التكلف، فإن حمزة أيضاً كان يكره ذلك وينهى عنه، وروي أنه كان يقول لمن يفرط في المد والهمز لا تفعل، أما علمت أن ما فوق البياض فهو برص، وما فوق الجعودة فهو قطط، وما فوق القراءة فهو ليس بقراءةٍ. وبعدٍ: فقد انعقد الإجماع على تلقي قراءة حمزة بالقبول والإنكار على من تكلم فيها. توفي حمزة بحلوان مدينته في آخر سأواد العراق سنة ستٍ وخمسين ومائةٍ، وقيل سنة ثمانٍ وخمسين ومائةٍ، وله ست وسبعون سنة.